أ. د. حلمي محمد القاعود

القيم الخلقية وإعجاز القرآن
في
رسائل النور



استهلال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين؛

وبعد:

فهذه صفحاتٌ من فيوضات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي، الداعية والعالم الإسلامي الشهير، الذي واجه الغزاة وخصوم الإسلام بالجهاد والعقل والحكمة وتأسيس حاضنةٍ اجتماعيةٍ تملك الوعي المعرفي بمنهج الدين الحنيف وأخلاقه وتشريعاته، وكان قبل ذلك وبعده قدوة لمن يربيهم تربية إسلامية ناضجة تتعاون وتتآخى وتبني وتعمر، وفق منظومة أخلاقية رفيعة صاغها الإسلام وباركها القرآن الكريم وفاضت من صاحب الأسوة الحسنة محمد ﷺ.



بـديع الزمـان سـعيد النورسـي (١٢٩٤هـ = ١٨٧٧م/ ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م)، جاء في وقت المحنة التي ألمت بالأمة الإسلامية، وشهدت تفكك الخلافة الإسلامية وتمزيق بلاد المسلمين، وتوحش القهر الاستعماري، والترويج لما يسمى العلمانية بتجلياتها المؤذية التي حاربت الإسلام، وقامت بعملية إحلال وتبديل لقيمه وأخلاقه، ورموزه وتشريعاته فبات المسلم في معظم بلاد المسلمين غريبًا عن دينه وعن لغة القرآن، ومحرومًا من الحرية والكرامة، وضائعًا في متاهات الظلم والجبروت والتضييق والملاحقة... وأصبح لا يملك من أمره شيئًا، ولا يستطيع أن يغرّد حرًا طليقًا مثل بقية البشر الأحرار.

كانت رسائل النور التي كتبها النورسي في ظروفٍ صعبةٍ زادًا تربويًّا لتلاميذه والأجيال التالية في الأناضول، فتعرّفوا على الإسلام وخصائصه، وعملوا على نشرها وتطبيقها في الواقع العملي، وأثمرت بعد رحيله بعقود ملايين من الأتباع تنحاز إلى دينها وأمتها، وتقدم نموذجًا يبهر العالم ويدهشه، ويحقق مقاصد الإسلام في العمل والإنتاج والإتقان والإصرار والشورى...



رسائل النور بصفحاتها الغزيرة تقدم ثروة معرفةٍ تربويةٍ هائلةٍ، تناولتها دراسات كثيرة في عديد من المؤتمرات والمناسبات، ومازال الباحثون والدارسون يجدون فيها مزيدًا من مواضيع الدرس والبحث... ومن فيوضاتها تضم الصفحات التالية موضوعين قصيرين:

الأول: حول القيم الخلقية الإسلامية في رسائل النور، وقد اكتفينا ببعض القيم للتمثيل، وإعطاء فكرة موجزة للقارئ حتى يتعرف على طبيعة التناول أو المعالجة التي سار عليها النورسي في الرسائل.

الآخر: عن موضوع الإعجاز في القرآن الكريم، وهو موضوعٌ مهمٌ كان مجالًا للحوار والدراسات العربية والإسلامية على مدي قرونٍ مذ نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ حتى اليوم، وتعددت المداخل والمنطلقات في التعبير عن فكرة الإعجاز.

بيد أن النورسي يتناول المسألة بفكرةٍ سهلةٍ مبسطةٍ





تتناسب مع الواقع المعاصر بهدف تقديمها إلى أكبر قطاعٍ من الناس دون تعقيدات...

وقد حاولت أن أتأسَّي بالنورسيِّ في تبسيط العرض للموضوعين لغةً وتناولًا حتى يجد القارئ مبتغاه بسهولةٍ ويسرٍ...

أسأل الله الكريم أن يوفق الأمة الإسلامية إلى ما فيه الخير، ويهديها إلى الرشد والصواب، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

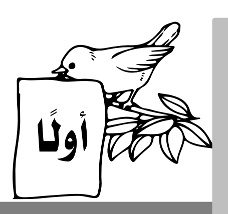
حلمي محمد القاعود

ربيع الأول ١٤٣٧هـ

يناير ٢٠١٦م

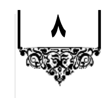






القيم الخلقية في رسائل النور





-١-

ترتبط منظومة الفكر الإسلامي ارتباطًا عميقًا بحياة المسلم في وجوهها المتشعبة كافةً، فلا تترك مجالًا لحركةٍ أو سلوكٍ أو تصورٍ إلا وحكمته بالمنظور الإسلامي الذي تصنعه المفاهيم القرآنية وتوضحه السنة النبوية، ولقد جاءت رسائل النور لبديع الزمان سعيدٍ النورسي لتؤكد على توغل هذه المفاهيم القرآنية في شتى وجوه الحياة الإنسانية، ومن هذا المنطلق كان اهتمام النورسي بفلسفة الأخلاق، وتأصيل القيم الخلقية داخل نفوس أبناء الأمة الإسلامية بوصفه مصدر السعادة الدنيوية والأخروية، ومنطلق العمل من أجل رضا الخالق جَلَّ وَعَلَا، وعزة المسلمين في واقعهم الإنساني.

ولا شك أن النورسي كان نتاجًا لبيئةٍ إسلاميةٍ صالحةٍ أهلته ليقوم بدور الداعية الإسلامي الناضج الذي يحفظ شعلة الإسلام مضيئةً ومستمرةً في مرحلةٍ من أضعف فترات



الأمة الإسلامية في تركيا وغيرها. لقد أثرت هذه المرحلة على الوجود الإسلامي وعصفت بالمسلمين عصفًا شديدًا فهيأ الله النورسي ليرفع الشعلة ويحافظ عليها في سلوكه ودعوته معًا.

نشأةٌ طاهرةٌ:

ولد النورسي عام ١٢٩٣هـ= ١٨٧٣م بقرية نورس، قضاء خيزان بولاية بتليس شرق الأناضول، وزمن الميلاد هذا كان يؤذن بأحداثٍ جسامٍ انتهت في شباب النورسي ونضجه إلى إلغاء الخلافة الإسلامية، وتتريك المسلمين بمعني نقلهم إلى العلمانية وعزلهم عن الأمة، ومحاولة استئصال الإسلام من النفوس والقلوب.



جاء سعيدٌ إلى الدنيا لأبٍ صوفيٍّ ورعٍ يدعى (ميرزا) كان يضرب به المثل في الورع حيث لم يذق حرامًا، ولم يطعم أولاده من غير الحلال، حتى إنه عاد بمواشيه ذات يومٍ وقد شد أفواهها لئلا تأكل من مزارع الآخرين... ويسمع أمه وكانت تدعى (نورية) تقول:

«إنها ما أرضعت أطفالها إلا وهي على طهر ووضوء»[1].

سعيدٌ إذًا ابن بيئةٍ أسريةٍ صالحةٍ نقيةٍ، ثم إنه حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف، وحصّل العلوم الشرعية. وكان يملك ذكاءً خارقًا، وقوةً خارقةً للحفظ. وتعرف على أعلام عصره المؤثرين ومن بينهم شاعر تركيا الأشهر (محمد عاكف)، وكانت قصة حياته مفعمةً بالأحداث والانفعالات؛ فجمعت إلى العلم والدعوة والجهاد والأسر والمحاكمات والمواجهات والنفي، على النحو الذي فصّله في سيرته الذاتية، وتناولته الدراسات التي اهتمت بحياته وشخصه، ولكنها جميعًا تصبّ في دائرة الداعية صاحب الرؤية الثاقبة والنظرة العميقة التي تتجاوز السطح إلى العمق، والقشر إلى اللب، ولعلنا ندرك هذا من قوله:

(١) بديع الزمان سعيدُ النورْسي، سيرةٌ ذاتيةٌ، ترجمة:إحسان قاسم الصالحي، ط ٢، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م، ص٣٥ وما بعدها، وانظر: سمير رجب محمد، الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي سعيد النورسي، ط ٢، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م، ص ١٩.





«كنت قد حدثت خيالي في عهد صباي: أي الأمرين تفضل؟

قضاء عمرٍ سعيدٍ مع سلطنة الدنيا وأبّهتها على أن ينتهي ذلك إلى العدم، أم وجودًا باقيًا مع حياةٍ اعتياديةٍ ذات مشقةٍ؟

فرأيته يرغب في الثانية ويتأفّف من الأولى، قائلًا:

إنني لا أريد العدم بل البقاء»[١].

الفكر والسلوك:

إن فهم موقف النورسي من فلسفة الأخلاق في ضوء القرآن الكريم لا يتم إلا بفهم سلوكه الشخصي تجاه الأحداث الصعبة والمواقف الحساسة. فمن خلالها يمكن للباحث أن يربط بين الفكر والسلوك لهذه الشخصية الفريدة في تاريخ الدعوة الإسلامية من ناحيةٍ، ووعيه بطبيعة القيم الخلقية من ناحيةٍ أخرى. وسوف نكتفي هنا بمثالين من سلوكه الشخصي:



(١) الفكر الأدبي والديني (مرجع سابق)، ص١٩.

الأول: تمسكه بإسلام المـؤمن وعزتـه، عند أسره بعد دخول الـروس مدينـة (بتليس). فقـد جـاء خـال القيصر وهـو القائـد العـام للجبهـة ليـزور معسكر الأسـرى في قوصـتورمه» شرقي روسيا، وقام الأسرى تحيةً له إلا سعيدًا النورسي.

لاحظ ذلك القائد العام للجبهة فرجع مرةً ثانيةً أمامه فلم يعره اهتمامًا، فغضب القائد، وقال له:

- يبدو أنك لا تعرفني؟

فأجاب بديع الزمان:

- لا... إنني أعرفك. إنك خال القيصر والقائد العام.

- إذًا فلم تحتقرني؟

- لا... إنني لم أحتقر أحدًا، ولكنني فعلت ما تأمر به عقيدتي ومقدساتي.

- وبماذا تأمرك عقيدتك؟

- إنني عالمٌ مسلمٌ وفي قلبي إيمانٌ، والمؤمن أفضل من عديم الإيمان. إن قيامي لك ابتذالٌ لعقيدتي ومقدساتي ولذا فلم أقم لك.



- إذًا، فهذا يعني أنني عديم الإيمان، وبذلك تكون احتقرتني واحتقرت جيشي واحتقرت أمتي، وكذلك احتقرت القيصر، لذا يجب تشكيل محكمةٍ عسكريةٍ لاستجوابك.

تشكلت المحكمة ورغب كثيرٌ من الأسرى الأتراك والنمساويين والألمان حمل سعيدٍ على الاعتذار إلى القائد. فرد قائلًا:

- إنني أرغب في الرحيل إلى الآخرة والوصول إلى حضرة رسول الله ﷺ وأنا في حاجةٍ إلى سفرٍ للذهاب إلى الآخرة، ولا أستطيع أن أفعل ما يتعارض مع إيماني.

ساد الحزن معسكر الأسرى، وصدر الحكم بإعدام سعيدٍ، وفي يوم التنفيذ حضر الجنود الروس بقيادة ضابطٍ لأخذه إلى ساحة الإعدام، فطلب سعيدٌ أن يمهلوه خمس عشرة دقيقةً ليتوضأ ويصلي، وحينذاك خاطبه القائد العام بقوله:



- كنت أعتقد أنك بفعلك هذا تقصد إهانتي والتحقير

من شأني، ولكنني الآن أفهم أنك بتصرفك هذا كنت تؤدي ما تأمرك به عقيدتك. لذا فقد ألغيت قرار المحكمة، وأقدرك لتقواك وورعك، وأرجو قبول اعتذاري عما بدر منا من مضايقات[1].

ولا شك أن عزة المؤمن تتجلى خير ما تكون في هذا الموقف الذي تظهر فيه قوة الإيمان ورباطة الجأش المطلقة في الله.

الآخر: موقفه مع (أتاتورك):

بعد انتصار الأتراك، ودعوة قادة الاستقلال لسعيدٍ كي ينضم إليهم، فقد زارهم في أنقرة، ولاحظ أن معظم النواب لا يؤدون الصلاة، كما أن سلوك مصطفى كمال وتصرفاته المعادية للإسلام أحزنته كثيرًا. وكان أن وضع النورسي بيانًا في ١٩/ ١/ ١٩٢٣ ضمنه نقاطًا عديدةً كانت نتيجته بعد أن ألقاه

---

(١) سيرة ذاتية، ص١٣٠-١٣١، وإحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي، نظرةٌ عامةٌ عن حياته، المختار الإسلامي للنشر، القاهرة، د.ت، ص٥٣ وما بعدها.

الجنرال (كاظم قره بكر) القائد الأول لحركة الاستقلال أن ما يقارب ستين نائبًا قد استقاموا على التدين وأقاموا الصلاة.

استدعاه (أتاتورك) وحدث بينهما حوارٌ، وكان مما قاله أتاتورك:

- لا ريب أننا بحاجة إلى أستاذٍ قديرٍ مثلك. لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة، ولكن أول ما قدمت به لنا هو الحديث عن الصلاة، لقد كان أول جهودكم هو بث الفرقة بين أهل هذا المجلس.

فأجابه بديع الزمان مشيرًا بإصبعه في حدةٍ:

- (باشا... باشا) إن أعظم حقيقةٍ تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة. وإن الذي لا يصلي خائنٌ. وحكم الخائن مردودٌ».

كانت النتيجة أن فكر أتاتورك في إبعاده عن أنقرة بحجة تعيينه واعظًا عامًا للولايات الشرقية، وبمرتبٍ مغرٍ، ولكن النورسي رفض هذا الطلب[1].



---

(١) سيرةٌ ذاتيةٌ، ص١٨١-١٨٧، وتتضمن البيان الذي وجهه النورسي كاملًا بعنوان: (خطابٌ إلى مجلس الأمة).

ومن المثالين السابقين يتضح لنا مدى وعي سعيدٍ بالمفهوم الخلقي القرآني، في مواجهة الأحداث عبر سلوك يلتزم بقيم الإسلام ويستمسك بجوهرها دون أن يرهبه موتٌ أو يغريه عطاءٌ، وهو ما ركز عليه في معالجته للقيم الخلقية الإسلامية؛ حيث يؤكد على ضرورة استيعاب هذه القيم فكرًا وسلوكًا حتى تكون شخصية المسلم جديرةً بالانتساب إلى الإسلام، وإقامة المجتمع المسلم القوي.

بناء المسلم الفرد:

ويلاحظ أن بديع الزمان في فهمه لفلسفة الأخلاق القرآنية، كان ينطلق من قاعدة بناء المسلم الفرد ليستقيم المجتمع الإسلامي كله، وكثيرًا ما يمزج بين التربية الخلقية والفردية، والتربية الخلقية الجماعية، لتؤدي القيمة دورها في بناء الطرفين، وتشييد المجتمع الإسلامي المأمول.

إن منهج بديع الزمان يقوم في توصيفه للقيمة الخلقية على الانطلاق من الآيات القرآنية الكريمة التي تتناولها، مع الاسترشاد بالحديث الشريف، ثم يدعو إلى التطبيق من خلال

سرد الأدلة العقلانية المؤيدة للقيمة سواءً كانت حدثًا تاريخيًا قديمًا أو حديثًا، أو حدثًا شخصيةً عايشةً أو مر به، أو افتراضًا واقعيًا يصل إلى إثبات صحته... وهذا ما يجعل لكلامه وزنًا حقيقيًا ومؤثرًا.

وإذا عرفنا أن كثيرًا من القضايا التي تناولتها (رسائل النور) جاءت ردًا على أسئلة طلاب النورسي وتلاميذه، أدركنا مدى اقترابها من الواقع والحياة؛ حيث يكون السلوك القيمي غالبًا أساس كثيرٍ من هذه القضايا، ولعل هذا ما يجعل لاستشهاداته بالحوادث والوقائع التي عايشها ومرّبها تأثيرًا كبيرًا في الإقناع والقبول.

تشابه مع الإمام الغزالي



لقد عالج الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إحياء علوم الدين، وشرحه لأسماء الله الحسنى، فلسفة الأخلاق القرآنية، وتعمق الرجل في الحديث عن القيم الخلقية إلى درجةٍ مدهشةٍ، ومن يتأمل حديث النورسي عن هذه القيم يلحظ تشابهًا كبيرًا بين الرجلين، وإن كان كل منهما ينتسب إلى لغة خاصة وزمن

خاص وواقع خاص، فالغزالي ينتسب إلى القرن الخامس الهجري، وكانت فيه بلاد الإسلام لما تزل قويةً، والنورسي ينتسب إلى القرن الرابع عشر الهجري، وصارت فيه بلاد الإسلام قصعة الأمم...

لغة الغزالي تبدو أقرب إلى الأكاديمية التي تخاطب العقل أولًا، أما لغة النورسي فتبدو أقرب إلى الجماهير العامة التي تخاطب القلب أولًا، وفي اللغتين عقلٌ وقلبٌ، وجوهرٌ واحدٌ تقريبًا، وسنشير إلى بعض النماذج لاحقا -إن شاء الله-.
ما نود التأكيد عليه هنا؛ أن دور النورسي في مرحلة انهيار الخلافة الإسلامية وتمزيق العالم الإسلامي شر ممزقٍ، كان دورًا مهمًا للغاية، فقد توقع هذه الكارثة ونبه إلى أن القرن الجديد (العشرين الميلادي) قرن العلم، ولا تكفي فيه المدارس الدينية التي تكتفي بدراسة العلوم الشرعية. ولكن أحدًا لم يلتفت إلى تنبيه النورسي، وكان عليه أن يحمل هموم الأمة ويقوم بأعباء الرسالة التي نذر لها نفسه وحياته وكل لحظةٍ من وقته بعيدًا عن السياسة وأروقتها، وانكبّ على





تـأليف رسـائل النـور ونشـرها علـى الأمـة في ظـروفٍ غايـةٍ في الدقـة والصعوبة ليهيـئ بهـا مجتمعًـا إسـلاميًا متكـاملًا يتـدفق بالإيمان والحيوية[1].

اللمعات والقيم الخلقية:

ويمكـن القـول: إن رسـائل النـور قـد تناولـت معظـم القـيم الخلقيـة الإسـلامية إن لـم يكـن كلهـا بطريقـةٍ أو أخـرى، وإن كانت (اللمعات) على وجهٍ خاصٍ قد احتشدت لها بطريقةٍ مركزةٍ.

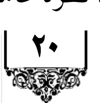
في رسـائل النـور نسـتطيع أن نجـد تنـاولًا للقـيم الإيجابيـة التي يحض عليها الإسلام، والقيم السلبية التي يحذر منها ويدعو إلى تجنبها والابتعاد عنها.



فهناك من الأولى:

الإخـلاص، الأخـوة، الاسـتغفار، الاسـتقامة، الاقتصـاد، الأمانة، الإنصاف، الإيثار، التربية الإسلامية، التنظيف والتطهير،

(١) بديع الزمان سعيد النورسي: نظرةٌ عامةٌ عن حياته، ص١١-١٥.



التواضع، العفة، التوكل، التساند، التعاون، التضحية، الحب، الحسنة، الخير، الشجاعة، السخاء، الصبر، الصدق، العدل، العزة، العمل، الكرامة، الكرم، المحبة، الوفاء، الهمة...

ومن الأخرى:

الإفراط والتفريط، الإسراف، البخل، البدعة، التخريب، التكبر، الحرص، عشق المال، الرياء، السفاهة، السيئة، الشهرة، الشهوات، العبث، الغرور، الكبائر، الإعجاب بالنفس، الأنانية، الهوى...

قد يتناول النورسي كل قيمةٍ من هذه على حدةٍ، وقد يتناول القيمة الإيجابية ونقيضتها السلبية في سياق مشتركٍ، ويحكم التناول بصفةٍ عامةٍ ما يفرضه الموقف الذي يعالج من خلاله هذه أو تلك.



سنرى فيما يلي كيف عالج النورسي بعض القيم؟ وأقول بعضًا، لأن الإلمام بها جميعًا يحتاج إلى كتابٍ ضخمٍ، لا تحتمله المناسبة.



-٢-

الإخلاص

أولى القيم الإيجابية وعمدتها لدي النورسي قيمة (الإخلاص)، ولأهميتها فقد أفرد لها رسالتين في (اللمعات) (الرسالة العشرين والرسالة الحادية والعشرين)، فضلًا عن إشاراتٍ أخرى عديدةٍ في أكثر من لمعةٍ، وأكثر من مكانٍ في رسائله الكثيرة.

يقوم تناول النورسي لقيمة الإخلاص على تأمل الآية الكريمة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾، وقول الرسول ﷺ: «**هلك الناس إلا العالمون، وهلك العالمون إلا العاملون، وهلك العاملون إلا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيمٍ**»[1].

ويرى أن الآية الكريمة تدلنا مع الحديث الشريف على مدى أهمية الإخلاص في الإسلام، ويجيب على سؤالٍ مهمٍ

---

(١) الزمر: ٢-٣.

ومثيرٍ للدهشة من خلال سبعة أسبابٍ تبين لماذا يختلف أصحاب الدين والعلم وأرباب الطرق الصوفية؟ وهم أهل حقٍ ووفاقٍ ووئامٍ بالتنافس والتزاحم، في حين يتفق أهل الدنيا والغفلة والضلال والنفاق من دون مزاحمةٍ ولا حسد فيما بينهم، مع أن الاتفاق من خصائص الأولين والخلاف ملازمٌ لأهل الشقاق والنفاق؟

إن الأسباب السبعة تستغرق اللمعة العشرين كلها على طولها وإفاضتها، ولكنه يستطرد في اللمعة الحادية والعشرين لمزيد من تجلية قيمة الإخلاص من خلال المفاهيم القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾[(٤)]، ويقوم على ضوئها ثلاثة أسسٍ أو دساتير



(١) الأنفال: ٤٦.
(٢) البقرة: ٢٣٨.
(٣) الشمس: ٩-١٠.
(٤) البقرة: ٤١.





للإخلاص، وأيضًا ثلاثة موانعٍ له.

ويرى النورسي أن اختلاف أهل الحق غير نابعٍ من فقدان الحقيقة، كما أن اتفاق أهل الغفلة ليس نابعًا من ركونهم إلى الحقيقة؛ بل إن وظائف أهل الدنيا والثقافة والسياسة والمثقفين وأمثالهم من طبقات المجتمع قد تعينت وتميزت، ولكل منهم مهمته الخاصة التي ينشغل بها، وأجرته عليها متميزةٌ ومتعينةٌ أيضًا فضلًا عما يأخذه من أجرةٍ معنويةٍ كحب الجاه وذيوع الصيت والشهرة.. فليس هناك إذًا ما يولد منافسةً أو مزاحمةً أو حسدًا فيما بين هؤلاء، وليس هناك ما يوجب المناقشة والجدال، لذا تراهم يتمكنون من الاتفاق مهما سلكوا من طرق الفساد.

أما أهل الدين وأصحاب العلم وأرباب الطرق الصوفية، فإن وظيفة كلٍ منهم متوجهةٌ إلى الجميع، وإن أجرتهم غير متعينةٍ وغير متخصصةٍ، كما أن حظهم من المقام الاجتماعي وتوجه الناس إليهم والرضا عنهم لم يتخصص أيضًا. فهناك



مرشحون كثيرون لمقامٍ واحدٍ، وقد تمتد أيدٍ كثيرةٌ جدًا إلى أية أجرةٍ ماديةٍ كانت أو معنويةٍ، ومن هنا تنشأ المزاحمة والمنافسة والحسد والغيرة، فيتبدل الوفاق نفاقًا، والاتفاق اختلافًا وتفرقًا.

إيثار الحق:

ويرى النورسي أنه لا يشفي من المرض العضال إلا مرهم الإخلاص الناجع، أي أن ينال المرء شرف الامتثال للآية الكريمة: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[1] -بإيثار الحق على الهدى، والهدى على اتباع النفس والهوى، وبترجيح الحق على أثرة النفس، وأن يحصل له امتثالٌ بالآية الكريمة: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[2] باستغنائه عن الأجر المادي والمعنوي المقبلين من الناس، مدركًا أن استحسان الناس كلامه وحسن تأثيره فيهم ونيل توجههم إليه هو مما يتولاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن إحسانه وفضله وحده، وليس داخلًا ضمن وظيفته التي هي منحصرةٌ في التبليغ فحسب، فمن وفقه الله



---

(١) يونس: ٧٢.

(٢) النور: ٥٤.





إلى ما ذكر آنفًا يجد لذة الإخلاص، وإلا يفوته الكثير[1].

إن الدنيويين الغافلين يحصرون نظرهم حصرًا في الدنيا؛ فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم، وتراهم يرتبطون معها بأوثق رباطٍ، وبكل ما لديهم من مشاعر وروحٍ وقلبٍ. فأيما شخص يمد لهم يد المساعدة يستمسكون بها بقوة، فهم يحصرون وقتهم الثمين جدًا في قضايا دنيويةٍ لا تساوي شيئًا في الحقيقة لدى أهل الحق[2].

إن النورسي، ومن خلال خبرته الحياتية والدعوية، يرى أن الحسد والمنافسة نتاجٌ لعدم الإخلاص، وإن الأعمال الصالحة تفضي إلى الآخرة ولا مجال فيها للتنافس أو التحاسد؛ فمن تحاسد فهو لا شك مُراءٍ يتحرى مغانم دنيويةٍ تحت ستار الدين ويبحث عن منافع باسم العمل الصالح، أو إنه جاهلٌ صادقٌ لا يعلم وجهة الأعمال الصالحة ولم يدرك بعد

---

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط٢، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م، ص٢٢٥- ٢٢٨.

(٢) السابق: ص٢٣٥.



أن الإخلاص روحُ الأعمال الصالحة وأساسها[1].

ويشير النورسي إلى أن العلاج الوحيد للتحاسد ويسميه بـ(المرض) هو:

اتهام المرء نفسه، والانحياز إلى جهة رفيقه في نهج الحق وعدم الانحراف عن دستور الإنصاف، أي إن طالب الحق المنصف يسخط نفسه لأجل الحق، إذا ما رأى الحق لدى خصمه رضي به وارتاح إليه[2].

ويخاطب النورسي تلاميذه قائلًا:

«اعلموا أن قوتكم جميعًا في الإخلاص والحق. نعم، إن القوة في الحق والإخلاص. حتى إن أهل الباطل يحرزون القوة لما يبدون من ثباتٍ وإخلاصٍ في باطلهم.



نعم! إن خدمتنا هذه في سبيل الإيمان والقرآن هي دليلٌ بذاتها على أن القوة في الحق والإخلاص. فشيءٌ يسير من

(١) السابق، ص٢٣٧.

(٢) نفسه: ص ٢٣٩.

الإخلاص في سبيل هذه الخدمة يثبت دعوانا هذه ويكون دليلًا عليه»[1].

ثلاثة موانع للإخلاص:

ويحدد النورسي في نهاية الأمر ثلاثة موانع للإخلاص هي:

الأول: الحسد الناشئ من المنافع المادية، وسبقت الإشارة إليه، وإلى طرق العلاج منه.

ثانيًا: حب الشهرة وذيوع الصيت أو إعطاء ما يداعب أنانية النفس الأمارة بالسوء.

ثالثًا: الخوف والطمع.

ومن الأمثلة الواقعية البسيطة التي يضربها النورسي ليقنع الناس بما يقول؛ هذا المثل الذي يضربه لاستمرار الإخلاص ودوامه.



(١) السابق، اللمعة الحادية والعشرون، ص٢٢٤.

يقول:

«يحصل الصناعيون وأهل الحرف على الإنتاج الوفير وعلى ثروةٍ هائلةٍ نتيجة اتباعهم قاعدة المشاركة في الصنعة والمهارة؛ وإليك المثال:

قام عشرة من صناعي إبر الخياطة بعملهم، كلٌّ على انفراد. فكانت النتيجة ثلاث إبر فقط لكل منهم في اليوم الواحد... ثم اتفق هؤلاء الأشخاص حسب قاعدة توحيد المساعي وتوزيع الأعمال فأتى أحدهم بالحديد والآخر بالنار، وقام الثالث بثقب الإبرة، والآخر بإدخالها النار والآخر بدأ يحدها... وهكذا فلم يذهب وقت أحدٍ سدىً، حيث انصرف كل منهم إلى عمل معين وأنجزه بسرعة، لأنه عملٌ جزئيٌ بسيطٌ أولًا، ولاكتسابه الخبرة والمهارة فيه ثانيًا - وحينما وزعوا حصيلة جهودهم رأوا أن نصيب كلٍّ منهم في يومٍ واحدٍ ثلاثمائة إبرةٍ بدلًا من ثلاث إبر... فذهبت هذه الحادثة أنشودة يترنم بها أهل الصناعة والحرف الذين يدعون



إلى توحيد المساعي وتوزيع الأعمال»[1].

وإذا كانت هذه الفوائد العظيمة نتيجة الاتفاق في الأعمال الدنيوية فكم يكون يا ترى ثواب أعمالٍ أخرويةٍ ونورانيةٍ؟! وكم يكون الثواب المنعكس من أعمال الجماعة كلها بالفضل الإلهي في مرآة كل فردٍ منها؟!

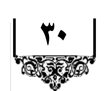
إن الفوائد العظيمة دنيويًّا وأخرويًّا كفيلةٌ بإدامة الإخلاص بين المسلمين، ثم إنها تدفعهم إلى التعاون والتلاحم لتجاوز صعوبات الحياة والتغلب على مشكلاتها، والتساند لإقامة الدين ونشره ومواجهة خصومه. ومن هذا المنطلق فإن المسلم يترك أوجه الاختلاف ويحرص على أوجه الاتفاق، خاصةً وأن دساتير الإخلاص تحقق وحدة الأمة، أو الجماعة، وترابط المسلمين في كل مكان.



إن النورسي يعد الإخلاص محور النجاة ومدارها بالنسبة للمسلمين، والإخلاص يجب أن يشمل كل شيء في

---

(١) نفسه: ص٢٤٩.



حياة المسلم، ويرى أن ذرةً من حبٍّ خالصٍ تفضل على أطنانٍ من الحب الصوري الشكلي، وهو ما عبر عنه شاعرٌ قديمٌ بقوله:

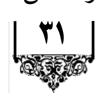
وما أنا بالباغي على الحب رشوةً

ضعيفٌ هوى يبغي عليه ثوابًا(١)

إن رؤية النورسي تتلاقى في مجملها مع رؤية أبي حامد الغزالي للإخلاص، وإذا كان النورسي قد انطلق من الواقع الذي يحياه تلاميذه ومجتمعه معتمدًا على المعطيات القرآنية والسنة النبوية وأحداث التاريخ والحياة، فإن الغزالي يبدو أقرب إلى الأكاديمية التي تلجأ إلى منهجية التعريف والأدلة والبراهين ثم الوصول إلى النتائج، من خلال لغةٍ تبدو موجهةً للخاصة قبل العامة.



(١) اللمعات، اللمعة السابعة عشرة، ص٢٠١.



الإخلاص عند الغزالي:

يبين الغزالي حقيقة الإخلاص فيقول:

«اعلم أن كل شيءٍ يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه يسمى خالصًا، ويسمى الفعل المخلص إخلاصًا، قال الله تعالى: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ -فإنما خلوص اللبن ألا يكون فيه شوبٌ من الدم والفرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به.

والإخلاص يضاده الإشراك. فمن ليس مخلصًا فهو مشركٌ. إلا أن الشرك درجاتٌ، فالإخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الألوهية، والشرك منه خفيٌّ ومنه جليٌّ، الإخلاص، والإخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب، وغنمًا يكون ذلك في القصود والثبات، وقد ذكرنا حقيقة النية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث؛ فمهما كان الباعث واحدًا على التجرد سمي الفعل الصادر إخلاصًا، بالإضافة إلى المَنْوِيّ، فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلصٌ، ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله فهو مخلصٌ، ولكن العادة جارية



بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب...»[1].

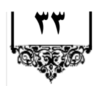
ويستمر الغزالي في شرح حقيقة الإخلاص وما يلتبس به من مفاهيم حتى يصل إلى مفهوم التجريد قصد التقرب إلى الله تعالى، وتخليص العمل من كل الشوائب قليلها وكثيرها، وهو ما لا يفعله إلا محبٌّ لله مستغرق الهمّ بالآخرة، بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرارٌ.."[2].

إن الغزالي يمضي في شرح حقيقة الإخلاص متتبعا دقائقه مستعينا بأمثلة وحكايات تؤكد ما يذهب إليه، كما يسجل أقاويل الشيوخ في الإخلاص، ثم يتحدث عن درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص، وهي تعادل (موانع الإخلاص) التي ذكرها النورسي ومنها: الرياء والخوف والرجاء. ويفيض الغزالي في شرح دور الشيطان ووسوسته

---

(١) محمد بن محمد الغزالي (أبو حامد)، إحياء علوم الدين، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩ م، ص٣٦٧/ ٤.

(٢) السابق، ص٣٦٨/ ٤.



للمؤمن كي يشوب إخلاصه بهذه الموانع[1].

ولا شك أن التقارب في الحديث عن حقيقة الإخلاص وشوائبه بين النورسي والغزالي يؤكد على وعي الرجلين بقيمة الإخلاص بوصفها أساسا خلقيًّا تقوم عليه حياة المسلم، ونهضة المسلم وعزتهم وقوتهم في الدنيا، وقبولهم عند الحق – سبحانه- في الآخرة.

ويمكننا أن نعد هذه المقارنة السريعة بين تناول قيمة الإخلاص لدى الرجلين موجودةً بمشابهها المتعددة في تناول بقية القيم الخلقية الإسلامية، سواءً في رسائل النورسي، أو إحياء علوم الدين، وأسماء الله الحسنى للغزالي.



(١) نفسه: ٣٧٠-٣٧٤ / ٤.



-٣-

الأخوة بين المسلمين

وإذا كانت قيمة الإخلاص في الأخلاق الإسلامية هي القيمة المحور والأساس، فإن النورسي يعطي قيمة الأخوة بين المسلمين اهتمامًا خاصًا، فالأخوة -وهي قرين المحبة عند النورسي- محورٌ من محاور بناء الأمة وصياغتها وفقًا للمفاهيم الإسلامية، ويقيم النورسي فهمه لقيمة الأخوة والمحبة على أساس تعميق محبة الله في قلوب المسلمين، لأنها أساس الحراك الاجتماعي في حياتهم، وهي الموجّه للعديد من سلوكيات المسلمين.

لقد خصص النورسي المكتوب الثاني والعشرين من المكتوبات لمعالجة قيمة الأخوة، وانطلق من الآيات الكريمة التالية ليؤكد على أهمية هذه القيمة في معالجة جروح المسلمين وبنائهم ذاتيًّا وإنسانيًّا:



﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾(1).

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾(2).

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(3).

ويطرح النورسي أسباب الشقاء التي تعصف بالمسلمين، وهي التحيز والعناد والحسد والنفاق والحقد والغل والعداء.. إن هذه الأمراض مرفوضةٌ. ترفضها الحقيقة والحكمة، ويرفضها الإسلام الذي يمثل الروح الإنسانية الكبرى، وإن العداء –على وجه الخصوص– ظلمٌ شنيعٌ يفسد حياة البشر الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سمٌّ زعافٌ لحياة البشر قاطبةً(4).



(1) الحُجُرات: 10

(2) فصلت: 24.

(3) آل عمران: 25.

(4) النورسي، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط2، سوزلر للنشر، القاهرة، 1413هـ = 1992، (المكتوب الثاني والعشرون، المبحث الأول، ص239).



ويعدد النورسي ستة أوجهٍ من وجوهٍ كثيرةٍ لهذه الحقيقة، ويضرب الأمثلة على ذلك ليؤكد أن عداء الإنسان لأخيه ظلمٌ في نظر الحقيقة ونظر الحكمة، وضررٌ بالغٌ يصيب الحياة الاجتماعية، وزعزعةٌ لحياة المؤمن المعنوية وتضييعٌ للإخلاص.

إن العداء والمحبة نقيضان -كما يقول النورسي- فهما كالنور والظلام لا يجتمعان بمعناهما الحقيقي أبدًا، فإذا ما اجتمعت دواعي المحبة وترجمت أسبابها، فأرست أسسها في القلب، استحالت العداوة إلى عداءٍ صوريٍّ، بل انقلبت إلى صورة العطف والإشفاق؛ إذ المؤمن يحب أخاه، وعليه أن يوده، فأيما تصورٍ مشينٍ يصدر من أخيه يحمله على الإشفاق عليه وعلى الجد في محاولة إصلاحه باللين والرفق دون اللجوء إلى القوة والتحكم. فقد ورد في الحديث الشريف:

«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» أخرجه البخاري ومسلم».



أما إذا تغلبت أسباب العداوة والبغضاء وتمكنت في القلب، فإن المحبة تنقلب عندئذٍ إلى محبةٍ شكليةٍ تلبس لُبُوس التصنع والتملق[1].

ويلخص النورسي علاقة المسلم بالمسلم بقوله:

«إن لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته فوق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف:

«**الحب في الله والبغض في الله**». والاحتكام إلى أمر الله في الأمور كلها، فالنفاق والشقاق يسودان... نعم، إن الذي لا يستهدي بتلك الدساتير يكون مقترفًا ظلمًا في الوقت الذي يروم العدالة.



(١) السابق، ص٣٤٠.

مبارزةٌ:

ويروي النورسي حادثةً ذات مغزىً وعبرةٍ:

في إحدى الغزوات الإسلامية، كان الإمام على رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يبارز أحد فرسان المشركين فتغلب عليه الإمام وصرعه. فلما أراد الإمام أن يُجْهِزَ عليه تفل على وجه الإمام. فما كان من الإمام إلا أن أخلى سبيله وانصرف عنه، فاستغرب المشرك من هذا العمل. فقال: إلى أين؟

قال الإمام: كنت أقاتلك في سبيل الله، فلما فعلت ما فعلت خشيت أن يكون قتلي إياك فيه ثأرٌ لنفسي فأطلقتك لله.

فأجابه الكافر: كان الأولى أن تثيرك فعلتي أكثر فتسرع في قتلي! وما دمتم تدينون بدين هو في منتهى السماحة، فهو لا شك دينٌ حقٌّ[1].



إن النورسي يدرك ما أصاب المسلمين وخاصةً في العصر الحديث بسبب الشقاق والتفرق والتحزب والخلاف، لذا

(١) نفسه، ٣٤٨.



يعيب عليهم أمراضهم هذه، ويذكرهم أن أشد القبائل تأخرًا يدركون معنى الخطر الداهم عليهم، وينبذون خلافاتهم الداخلية وعداوتهم الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم.. ويصف النورسي إبقاء دعاة الإسلام لعداوتهم الجزئية الطفيفة بأنها تمثل تدهورًا مخيفًا، وانحطاطًا مفجعًا، بل خيانةٌ بحق الإسلام والمسلمين[1].

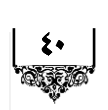
ويخاطب النورسي المؤمنين قائلًا:

«إن كنتم تريدون حقًا الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم وعودوا إلى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وحصّنوا أنفسكم بها من أيدي أولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية...»[2].



(١) نفسه، ٣٤٩.

(٢) نفسه، ٣٥٠.



تأسيس على الإيمان:

بيد أن النورسي وهو يأسى لحال دعاة الإسلام، وأحوال المسلمين، يرى أن الأخوة لا تؤسس إلا على الإيمان. فالإيمان يؤسس الأخوة بين كل شيء، لا يشتد الحرص والعداوة والحق والوحشة في روح المؤمن، إذ بالدقة يرى أعدى عدوه نوع أخٍ له. أما الكافر فيشتد حرصه وعداوته وحبه لنفسه لأنه يرى في الدنيا مكافأة حسناته، ويرى المؤمن جزءًا من سيئاته في الدنيا، إنها سجن المؤمن وجنة الكافر.

الإيمان يرى تحت القشر الفاني لبًّا لطيفًا رصينًا، ويرى ما يتوهم حبابًا مشمسًا زائلًا، ألماسًا متنورًا. والكفر يرى القشر لبًّا فيتصلب فيه فقط، فتنزل درجة الإنسان من الألماس: إلى الزجاجة بل إلى الجماد، بل إلى الحباب، هكذا شاهدت...[1].



إن الإيمان والإسلام والإنسانية وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعة هي من أسباب

(١) بديع الزمان النورسي، المثنوي العربي النوري، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط١، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م، ص١٥٨.



المحبة عند النورسي. أما أسباب العداوة والبغضاء تجاه المؤمن؛ فإنما هي أمورٌ خاصةٌ تافهةٌ تفاهة الحصى. لذا فإن إضمار العداء لمسلمٍ إضمارًا حقيقيًّا، إنما هو خطأٌ جسيمٌ لأنه استخفافٌ بأسباب المحبة التي هي أشبه بالجبال -إن الود والمحبة والأخوة هي من طباع الإسلام وروابطه، والذي يحمل في قلبه العداء؛ فهو أشبه ما يكون بطفلٍ فاسد المزاج يروم البكاء بأدنى مبررٍ للبكاء، أو أشبه ما يكون برجلٍ متشائمٍ لا يحسن الظن بشيءٍ ما دام سوء الظن ممكنًا، فيحجب عشر حسناتٍ للمرء بسيئةٍ واحدةٍ. ومن المعلوم أن هذا منافٍ كليًّا للخلق الإسلامي القاضي بالإنصاف وحسن الظن[1].

محبة الله:



ولا ريب أن الركيزة الأولى في هذا كله هي محبة الله، لأنها تحقق نجاة الإنسان من الوحشة الهائلة التي تلف حياته

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط ٢، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥ م، (الخطبة الشامية)، ص٥١٠.

الدنيا، وتشفيه من الغربة الأليمة التي يحسها إزاء الكون، وتشعره بالأنس المعنوي في الدنيا والآخرة معًا، كما تشعره بالحقائق اللطيفة في التكاليف الشرعية ليصل بهذه المحبة إلى مرتبة الإنسان الكامل(١).

إن محبة الله احتياج إنساني أصيل يسهم في تشكيل حياة الفرد والمجتمع تحت ظلال الإسلام، فمحبة الله -كما رأينا- تحرر الإنسان من كلّ ما عدا الله، وترتقي بروحه ووجدانه وتتغلب على معظم الأحاسيس المادية الدنيئة.

إن المحبة الإلهية تحقق الوجود الإنساني الحقيقي، بانسياق لطائفه جميعًا إلى ما خلقت من أجله، لأنها تحرك قلب الإنسان الذي يعد مركزًا لجسمه، ولولبًا لحركته، وتوجهه إلى الله، فيندفع بذلك كثيرٌ من اللطائف الإنسانية إلى الحركة والظهور، فتتحقق حقيقة الإنسان(٢).

إن محبة الله أساس الإيمان، والإيمان طريق الأخوة،



(١) المكتوبات، ص٥٩١، ٥٩٣.

(٢) السابق،ص٧٦٨، وانظر أيضا: صيقل الإسلام، ص١٢٢.



والأخوة تعني تماسك المجتمع وتسانده وتعاضده وقوته وعزته، وهذا ما ألح عليه النورسي من خلال المفاهيم القرآنية والسنة النبوية وأحداث الوقائع والتاريخ، وهو أيضًا ما جعل مفهوم الأخوة يحتل مساحةً كبيرةً في رسائل النور سواءً كان ذلك بطريقةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ؟

فضيلة الألفة:

وقد اهتم الغزالي في معالجته لمفهوم الأخوة اهتمامًا عظيمًا بقيمتها الخلقية في الإسلام، فخصص لها في إحياء علوم الدين كتاب (آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق)، يتحدث فيه عن فضيلة الألفة ومعنى الأخوة في الله، من خلال الحب في الله والبغض في الله، ومفهوم المحبة في الله تعالى، والحب لله في الله، والبغض في الله، ومراتب الذين يبغضون في الله، والصفات المشروطة فيمن تختار صحبته، وحقوق الأخوة والصحبة، وحقوق الأخوة في المال، وحق الأخوة في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات، وحقوق الأخوة في جهة اللسان، والحق على اللسان بالنطق، والعفو



من الـزلات والهفـوات، والـدعاء لـلأخ في حياتـه وبعـد مماتـه، والوفـاء للإخـلاص والتخفيـف، وتـرك التكلـف والتكليـف، وشروط الأخوة في الله، وآداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق... إلخ، وهو ما استغرق مساحةً كبيرةً أيضًا في الجزء الثاني من إحياء علوم الدين، ونكتفي بما سبقت الإشارة إليه لضيق المجال.



-٤-

وإذا كان النورسي قد توقف عند بعض القيم الخلقية وقفاتٍ مركزةً تستقصي جوانبها الدقيقة من خلال مفاهيمها القرآنية؛ فإنه عالج قيمًا أخرى من خلال منظورٍ شاملٍ يربط بينهما برباطٍ عضويٍ لا ينفصم، بل إنه يربطها أيضًا بقيم الإخلاص والأخوة والمحبة...

التعاون:

ولعل تناوله لقيم التعاون والعمل والسلام والرحمة والشفقة والعدل على سبيل المثال، ما يؤكد هذا الربط الذي يصب في بناء الفرد والمجتمع تحت ظلال الإسلام.



إن حشد الكائنات وجمعها حول الإنسان ضمن حكمةٍ إلهيةٍ مقدرةٍ، وجعْل كل منها يمدّ يد العون إليه لدفع حاجاته المتزايدة، نابعٌ -كما يقول النورسي- من إحدى اثنتين:

فإما إن كل نوعٍ من أنواع الكائنات يعرف الإنسان ويعلم

به فيطيعه ويسعى لخدمته، أي إن هذا الإنسان الغارق في عجزٍ مطلقٍ يملك قدرة سلطانٍ مطلقٍ!!

(وهذا بعيد كل البعد عن منطق العقل، فضلًا عما فيه من محالات لا تحد)...

أو إن هذا التعاون والإمداد إنما يتم بعلمٍ محيطٍ لقادرٍ مطلقٍ محتجبٍ وراء الكائنات... أي إن أنواع الكائنات لا تعرف هذا الإنسان لتمد له يد العون، وإنما هي دلائل على من يعرف هذا الإنسان ويرحمه ويعلم بحاله... وهو الخالق الرحيم[1].

قيمة التعاون هنا قيمةٌ إلهيةٌ، فقد سخرت الكائنات لتمد يد العون للإنسان رحمةً به وشفقةً عليه، وكان من المفترض أن تعم هذه القيمة النابعة من «بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ» بني الإنسان، ولكنهم للأسف تناسوها، والتفتوا إلى أنفسهم وذواتهم، وكانت الأنانية هي البديل الذي أشعل الصراع بين

(١) اللمعات، المقام الثاني من اللمعة الرابعة عشرة، ص١٤٨.





الإنسان والإنسان، وكانت الحروب والصراعات، وقبل ذلك جحود الخالق ونسيان فضله... ولعل هذا هو ما جعل النورسي يشدد في انتقاده للأوربيين أو «أوربا الثانية الفاسدة» التي تستند إلى أسسٍ واهيةٍ نخرةٍ، فتزعم أن كل كائنٍ حيٍّ مالكٍ لنفسه، ابتداءً من أعظم مالكٍ إلى أصغر سمكٍ، كل يعمل لذاته فقط، ولأجل نفسه فحسب، ولا يسعى أحدٌ إلا لذاته الخاصة، ولأجل هذا له حق الحياة، فغاية همه وهدف قصده هو ضمان بقائه واستمرار حياته.

خصامٌ وصراعٌ:

إن أوربا تحسب (قانون التعاون) الجاري بين المخلوقات امتثالًا لأمر الخالق الكريم، وتحسب السنة الإلهية وتلك التجليات الكريمة الرحيمة المنبعثة من ذلك التعاون.. تحسب ذلك جدالًا وخصامًا وصراعًا، حتى حكمت أن الحياة جدالٌ وصراعٌ[1].



(١) اللمعات، اللمعة السابعة عشرة، ص١٧٩ وما بعدها.

إن المخلوقات تقوم بخدمة غيرها، وتجد في ذلك لذةً تفوق كل شيءٍ لأنها تمتثل لقانون التعاون الذي صنعته السنة الإلهية. إن اللذة كامنةٌ في الوظيفة نفسها، والموجودات تقوم بأداء هذه الوظيفة التعاونية في غاية اللذة والمتعة ما دامت تكتسب بها مرتبةً نورانيةً ساميةً. إن الديك –مثلًا– يؤثر الدجاجات على نفسه، فيترك ما يلتقطه من حبوب رزقه إليهن دون أن يأكل، ويشاهد أنه يقوم بهذه المهمة وهو في غاية الشوق وعز الافتخار وذروة اللذة... فهناك إذا لذةٌ في تلك الخدمة أعظم من لذة الأكل نفسه. وكذا الحال مع الدجاجة –الراعية لأفراخها– فهي تؤثرها على نفسها، إذ تدع نفسها جائعةً في سبيل إشباع الصغار، بل تضحي بنفسها في سبيل الأفراخ، فتهاجم الكلب المغير عليها لأجل الحفاظ على الصغار(١).

إن موجودات الكون تتعاون فيما بينها تعاونًا وثيقًا، ويسعى كل منها لتكملة الآخر، وهذا التعاون والتساند

(١) السابق، ص١٩٨ وما بعدها.



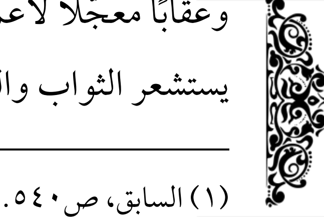
والتجاوب والتعانق يجعل الكون وَحدةً واحدةً تستعصي على الانقسام والتفكك[1].

إن زمننا هو زمن الجماعة وليس زمن الفرد، ومواجهة المد الإلحادي، والانقسامات والضعف، وهذا لا يتحقق إلا من خلال تأصيل قيم الأخوة والتعاون القائمة على الثوابت القرآنية.

ما وراء القيم

إن النورسي ينظر إلى ما وراء القيم ليفسر أو يحاول تفسير الحكمة من وضعها أو فرضها، وليقنع بالعقل والمنطق أنها لصالح الإنسان بصفةٍ عامةٍ، والإنسان المسلم بصفةٍ خاصةٍ.

إنه يرى هناك ثوابًا معجّلًا لأعمال البر والحسنات، وعقابًا معجّلًا لأعمال الفساد والسيئات، والإنسان المسلم يستشعر الثواب والعقاب. إن الحسنات تحمل في طياتها لذائذ



(١) السابق، ص٥٤٠.



وجدانيةً مما يذكر بنعم الله في الآخرة، والسيئات تحمل في ثناياها عذاباتٍ معنويةً تشعر بعذاب الآخرة الأليم[1].

ويطبق النورسي هذا المفهوم على قيمة السلام والعداء، فيرى أن إفشاء المحبة والسلام في صفوف المؤمنين؛ إنما هو حسنةٌ كريمةٌ للمؤمن، فله ضمن هذه الحسنة لذة معنوية وذوقًا وجدانيًا وانشراحًا قلبيًا ما يذكر بثواب الآخرة المادي.

إن بث الخصومة والعداء بين المؤمنين إنما هو سيئةٌ قبيحةٌ، فهذه السيئة تنطوي على عذابٍ وجدانيٍ، وأي عذابٍ، بحيث يأخذ بخناق القلب والروح معًا، فكل من يملك روحًا حساسةً وهمةً عاليةً يشعر بهذا العذاب.

ويضرب النورسي مثلًا بنفسه، ويذكر أنه مر بأكثر من مائة تجربةٍ على هذا النوع من السيئات؛ «فكلما حملت عداءً على أخٍ مؤمنٍ تجرعت عذاب تلك العداوة، حتى لم يبق لي ريبٌ من أن هذا العذاب هو عقابٌ معجّلٌ لسيئتي التي

(١) اللمعات، ص٤٣٤.

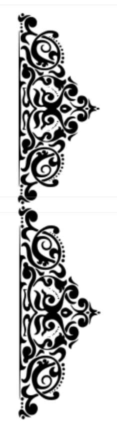


ارتكبتها فأعاقب عليها وأعذب بها[1].

إن تحقيق قيمة السلام داخل النفس، ينسحب على المجتمع مع الأفراد والطبقات، مما يعني إقامة بناء مجتمعٍ قويٍ يخلو من شرور الفرقة والاختلاف، ويؤصل للأخوة والمحبة، وهو ما يتمثل في قيم الرحمة والشفقة والاحترام والرأفة، فتوقير الجديرين بالاحترام والرأفة، وإبداء العطف والرحمة لمن يستحقه عملٌ صالحٌ وحسنةٌ للمؤمن، وفي هذه الحسنة تكمن لذةٌ عظيمةٌ ومتعةٌ وجدانيةٌ إلى حدٍّ قد تسوق صاحبها إلى التضحية حتى بحياته.

انظر إلى اللذة التي تكسبها الوالدات من بذل شفقتهن لأولادهن، حتى أنها تمضي في سبيل تلك الرأفة والشفقة إلى الجود بنفسها.

في الاحترام والرأفة، والشفقة والرحمة، أجرةٌ معجّلةٌ، يشعر بها وبلذتها أولئك الذين يملكون أرواحًا عاليةً ونفوسًا



---

(١) السابق، الصفحة نفسها.



أبيةً شهمةً[1].

قيمة العمل:

ويعالج النورسي بعض القيم الخلقية من زاوية ما تثيره من التباس لدى بعض الناس، ويكشف عن مفاهيمها الأصلية من منظور قرآني، تؤيده الأمثلة والأدلة التاريخية والواقعية. فهو مثلًا يعالج قيمة العمل ليؤكد على أن العمل الإيجابي البناء يأتي امتثالًا لأمر الله -سبحانه- دون ربطه بالنتائج، فالذين يعملون في طريق الحق ويجاهدون في سبيله -يجب ألا يفكروا فيما يخص شئون الله سبحانه وتدبيره، أو يبنون أعمالهم عليه فيخطئون.

ورد في كتاب (أدب الدنيا والدين) أن إبليس -لعنة الله عليه- حين ظهر لعيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال: ألست تقول: إنه لن يصيبك إلا ما كتبه الله عليك؟ قال: نعم. قال: فارم نفسك من ذروة هذا الجبل؛ فإنه يقدر لك السلامة تسلم. فقال له: يا ملعون! إن الله يختبر عبده، وليس للعبد أن يختبر ربه.

(١) نفسه، والصفحة نفسها أيضا.



أي إن الله -سبحانه- هو الذي يختبر عبده، ويقول له: إذا عملت كذا سأوافيك بكذا، أرأيتك تستطيع القيام به؟ يختبره... ولكن العبد ليس له الحق، ولا في طوقه أصلًا أن يختبر ربه ويقول:

إذا قمت بالعمل هكذا فهل تفعل لي كذا؟ فهذا الأسلوب من الكلام الذي يومئ بالاختبار سوء أدبٍ تجاه الربوبية، وهو منافٍ للعبودية. فمادام الأمر هكذا، فعلى العبد أن يؤدي واجبه ولا يتدخل بتدبير الله -سبحانه- وقدره.

ومن أمثلة التاريخ يضرب النورسي مثلًا آخر:

كان جلال الدين خوارزم شاه -وهو أحد أبطال الإسلام الذي انتصر على جيش جنكيز خان انتصاراتٍ عديدةً- كان يتقدم جيشه إلى الحرب، فخاطبه وزراؤه ومقربوه: سيظهرك الله على عدوّك وتنتصر عليهم.



فأجابهم: «عليّ الجهاد في سبيل الله اتباعًا لأمره -سبحانه-، ولا حقّ لي فيما لم أكلف به من شئونه. فالنصر والهزيمة من

تقـديره -سـبحانه-». ولبلـوغ هـذا البطـل العظـيم إدراك هـذا السر الدقيق في الاستسلام إلى أمر الله والانقياد له، كان النصـر حليفه في أغلب الأحيان نصرًا خارقًا.

نعـم إنـه ينبغـي ألا يفـرط الإنسـان -بمـا لديـه مـن الجـزء الاختياري- بالنتائج التي يتولاها الله سبحانه»[1].

إن العمـل الإيجـابي البنـاء -كمـا يـراه النورسـي- عـلاجٌ للغرور والأنانيـة، لأنـه عمـل المـرء بمقتضـى محبتـه لمسـلكه فحسب، من دون أن يرده إلى تفكيـره، أو يتـدخل في علمـه عـداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلًا[2].

صفات الخالق وقيم المخلوق:



لقد قام النورسي بتناول أسماء الله الحسـنى، ومـن خـلال شروحه لها قام بتأصيل معظم القـيم الخلقيـة التي تسـتند إلـى التـداخل بـين صـفات الخـالق وقـيم المخلـوق، ومـن ثـم فقـد جاءت شروح النورسي للأسماء الحسنى مثل العـدل، الحكـيم،

(١) اللمعات، اللمعة السابعة عشرة، ص١٩٨ وما بعدها.

(٢) السابق، اللمعة العشرون، ص٢٢٨.

الحق.. إلخ؛ حاملةً لإيضاح بارزٍ للقيم الخلقية الإنسانية، ونكتفي بمثالٍ واحدٍ يتعلق باسم الله العدل.

يقرر النورسي أن العدل مرتبطٌ بنظام الكون الدقيق وفق مشيئته -سبحانه-. هذا ما تدل عليه الآية الكريمة ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(١).

ويضرب مثلًا يوضح هذا الارتباط:

هذا الكون قصرٌ بديعٌ يضم مدينةً واسعةً تتداولها عوامل التخريب والتعمير. وفي تلك المدينة مملكةٌ واسعةٌ تغلي باستمرار من شدة مظاهر الحرب والهجرة. وبين جوانح تلك المملكة عالمٌ عظيمٌ يسبح كل حين في خضم الموت والحياة. ولكن على الرغم من كل مظاهر الاضطراب فإن موازنةً عامةً وميزانًا حساسًا، وعملية وزنٍ دقيقٍ تسيطر في كل جوانب القصر ونواحي المدينة، وتسود في كل أرجاء المملكة وأطراف العالم، وتهيمن عليه هيمنةً كاملةً، بحيث تدل بداهةً:



---

(١) الحجر: ٢١.

أن ما يحدث ضمن هذه الموجودات التي لا يحصرها العد من تحولات، وما يلج فيها، وما يخرج منها لا يمكن أن يكون إلا بعملية وزنٍ وكيلٍ وميزان من يرى أنحاء الوجود كلها في آنٍ واحدٍ، ومن تجري الموجودات جميعها أمام نظر مراقبته في كل حينٍ... ذلكم الواحد الأحد سبحانه.

وإلا فلو كانت الأسباب الساعية إلى اختلال التوازن؛ سائبةً أو مفوضةً إلى المصادفة العشواء أو القوة العمياء أو الطبيعة المظلمة البلهاء، لكانت بويضات سمكةٍ واحدةٍ التي تزيد على الألوف تخل بتلك الموازنة، بل بذيرات زهرةٍ واحدةٍ كالخشخاش -التي تزيد على العشرين ألفًا تخل بها، ناهيك عن تدفق العناصر كالسيل والانقلابات الهائلة والتحولات الضخمة التي تحدث في أرجاء الكون... كلٌّ منها لو كان سائبًا لكان قمينًا أن يخل بتلك الموازنة الدقيقة المنصوبة بين الموجودات، ويفسد التوازن الكامل بين أجزاء الكائنات في خلال سنةٍ واحدةٍ، بل في خلال يومٍ، ولكنت ترى العالم وقد حل فيه الهرج والمرج، وتعرض للاضطرابات والفساد.





فالبحار تمتلئ بالأنقاض والجثث وتتعفن...

والهواء يتسمم بالغازات المضرة الخانقة، ويفسد

والأرض تصبح مزبلةً ومسلخةً وتغدو مستنقعًا آسنًا لا تطاق فيه الحياة[1].

ميزانٌ حساسٌ:

يطلب النورسي التأمل وإمعان النظر في المكان، لنرى أن كل شيءٍ يوزن ويقدر بميزانٍ خارق الحساسية، وأن العلوم التي توصل إليها الإنسان ما هي إلا ترجمةٌ لذلك النظام البديع، وتعبيرٌ عن ذلك التوازن الرائع.

ألا يدل ذلك دلالةً واضحةً على أن الله -سبحانه- هو (العدل القدير) و(العدل الحكيم)؟

إن الذي يعتقد أن أعمال الجن والإنس يوم الحشر الأكبر توزن بميزان العدل الإلهي، ويستغرب منها، ويستعيدها، ولا يؤمن بها، لو تمكن أن يتأمل فيما هو ظاهرٌ مشاهدٌ من



(١) اللمعات، اللمعة الثلاثون،ص٥٢٣.



أنـواع الموازنـة الكـبرى أمامـه في هـذه الـدنيا لـزال اسـتبعاده واستنكاره...

إن النورسي يوجه نداءه للإنسان المسرف الظالم:

«اعلم أن الاقتصاد والطهر والعدالة سننٌ إلهيـةٌ جاريـةٌ في الكون، ودساتيرُ إلهيةٌ شـاملةٌ تـدور رحـى الموجـودات عليهـا لا يفلـت منهـا شـيءٌ إلا أنـت أيهـا الشـقي، وأنـت بمخالفتك الموجـودات كلهـا في سيرها وفـق هـذه السـنن الشـاملة تلقـي النضرة منها، والغضب عليك، وأنت تسحقها»[1].

لقد ذكر الميزان أربع مراتٍ في سورة الرحمن إشـارةً إلـى أربعة أنواعٍ من الموازين في أربـع مراتـب، وبيانـا لأهميـة الميـزان البالغة وقيمته العظمى في الكون... وذلك في قوله تعالى:



﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴾[2].

---

(١) السابق، ص٥٢٤-٥٢٥.

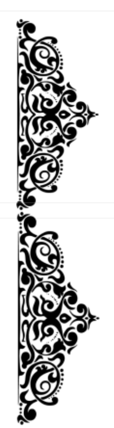
(٢) الرحمن: ٧-٩.



معنى العدل:

ينتقل النورسي بعد هذا إلى بيان معنى العدل، وضرورة أن يكون خلقًا من أخلاق المسلم لتستقيم حياته، وحياة مجتمعه. يقول موجها كلامه للمسلم موضحًا ارتباط أحكام القرآن بالكون:

«فاعلم من هذا أن العدالة والاقتصاد والطهر التي هي من حقائق القرآن ودساتير الإسلام، وما أشدها إيغالًا في أعماق الحياة الاجتماعية، وما أشدها عراقةً وأصالةً. وأدرك من هذا قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون، وكيف أنها مدت جذورًا عميقةً في أغوار الكون فأحاطته بعرىً وثيقةٍ لا انفصام لها، ثم افهم منها أن إفساد تلك الحقائق ممتنعٌ كامتناع إفساد نظام الكون، وإخلالٌ به وتشويه صورته»(١).



ولاشك أن من يطالع ما كتبه أبو حامدٍ الغزالي حول أسماء الله الحسنى سيجد تشابهًا كبيرًا بين النورسي وبينه في

(١) اللمعات، ص٥٢٦.



شرح المفاهيم المتعلقة بالصفات الإلهية والقيم الخلقية الإسلامية على النحو الذي سبقت الإشارة إليه في تناول قيم الإخلاص والمحبة والأخوة عبر إحياء علوم الدين ورسائل النور. ويمكن للقارئ أن يعود بنفسه إلى ما كتبه الغزالي بسبب ضيق المجال.



-٥-

أمراضٌ شائعةٌ

من المؤكد أن النورسي من خلال النماذج القليلة التي قدمناها؛ استطاع أن يؤصل بمهارةٍ واقتدارٍ للقيم الخلقية في ضوء المفاهيم القرآنية، ويكشف بوعيٍ وبساطةٍ عن فلسفة هذه القيم وتأثيرها في حياة الفرد المسلم والمجتمع المسلم، كما أوضح فوائدها العظيمة للأمة الإسلامية جميعًا، وخاصةً في زمن الهزائم والاستباحة من قبل أشرار العالم.

وإذا كان النورسي قد كشف ضمنًا عن القيم السلبية المقابلة أو النقيض للقيم الخلقية الإسلامية؛ فإنه خصص العديد من المواضع في رسائل النور ليهاجم الأخلاق السيئة ويندد بها، ويبرز أضرارها، وشرورها بالنسبة للأفراد والمجتمعات.



يشير إلى أربعة أمراضٍ شائعةٍ تصيب الإنسان، ويوضح كيفية معالجتها والشفاء منها، وهي: اليأس والعجب والغرور

وسوء الظن. ويرى أن اليأس يعالج بالاستماع بقلبٍ شهيدٍ إلى قوله تعالى:

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

والعجب يشفى إذا تبرأ المرء من دعوى الملكية، وتوهم مصدرية المحاسن، والاعتراف بالنقصان والقصور. فالملك لله وحده، وله الحمد ولا قوة إلا بالله.

والغرور ينشأ عن النظر إلى الأسلاف العظام من بعد، والحرمان من محاسن إرشاداتهم، وعلاجهم بالنظر إليهم من قربٍ، أعاظم كشفوا في أربعين يومًا ما لم تقتدر على كشفه إلا في أربعين سنة.



أما سوء الظن؛ فالجائع يتوهم أن الناس جياعٌ. وإساءة الظن بسبب المرض والرياء بأولئك الأسلاف العظام، فقد رأيت أنك بغمض عينك جعلت النهار ليلًا على نفسك فقط[2].

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) المثنوي العربي النوري، ص١٢٦-١٢٧.



وإذا كان النورسي يقدم لنا أربعة أمراضٍ شائعةٍ أو أربع قيمٍ سيئةٍ، ويكشف عن علاجها في إيجازٍ؛ فإنه يتوقف في مواضع متعددة لتفصيل بعض هذه الأمراض أو القيم السيئة. وسوف نتناول بعضها على سبيل المثال:

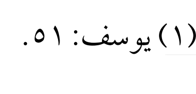
الاستغفار:

إن النورسي يحدثنا عن الغرور من حيث طبيعته ونتائجه في الآية الكريمة:

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[1].

وقيمة الاستغفار تنبع من القلب، الذي هو مستقر الإيمان والقيم الخلقية، لذا يكون ذكر الله النابع من القلب كفيلًا بإصلاح القلب، وعلاجًا للانحراف الخلقي.

ويوضح النورسي ذلك بأن كل ما تكسبه أيدينا من إثمٍ، وكل ما يلج إلى أذهاننا من شبهة يشق جروحًا غائرةً في قلوبنا، قروحًا داميةً في أرواحنا.



(١) يوسف: ٥١.

ويضرب المثل بسيدنا أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي كانت جروحه المادية تهدد حياته بالخطر في الدنيا القصيرة الأجل. أما جروحنا المعنوية نحن، فهي تهدد حياتنا الأخروية المديدة بخطرٍ أكبر. فنحن إذًا محتاجون أشد الحاجة إلى تلك المناجاة الأبوية الكريمة بأضعاف أضعاف حاجته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إليها. وبخاصة أن الديدان المتولدة من جروحه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مثلًا أصابت قلبه ولسانه؛ فإن الوساوس والشكوك -نعوذ بالله منها- المتولدة عندنا من جروحنا الناشئة من الآثام والذنوب تصيب باطن القلب الذي هو مستقر الإيمان، فتزعزع الإيمان فيه، وتمس اللسان الذي هو مترجم الإيمان، فتسلبه لذة الذكر ومتعته الروحية، ولا تزال تنفره من ذكر الله حتى تسكته كليًّا.

والمناجاة الأيوبية التي أشار إليها النورسي هي ما ورد في الآية الكريمة:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم



﴿مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾[1].

وما ورد في الآية الكريمة:

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[2].

وهي مناجاةٌ تحمل الاستغفار إلى جانب الذكر والاعتراف بالضعف ومس الشيطان. لذا كانت الاستجابة الإلهية مباشرةً وسخيةً:

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ...﴾.

ويشير النورسي إلى أن الإثم يتوغل في القلب ويمد جذوره في أعماقه، وما ينفك ينكت فيه نكتًا سوداء حتى يتمكن

(١) الأنبياء: ٨٣-٨٤.

(٢) ص: ٤١-٤٤.



من إخراج نور الإيمان منه، فيبقى مظلمًا مقفرًا، فيغلظ ويقسو.

نعم، إن في كل إثمٍ وخطيئةٍ طريقًا مؤديًا إلى الكفر، فإن لم يمح ذلك الإثم فورًا بالاستغفار يتحول إلى دودٍ معنويٍّ، بل إلى حيةٍ معنويةٍ، تعض القلب وتؤذيه»[1].

إن النورسي كان موفقًا تمامًا في ضرب المثل بسيدنا أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث يقدم صورةً محسوسةً للابتلاء والصبر عليه ومواجهته بالدعاء والتضرع والإنابة إلى الله؛ فضلًا عن كون هذه الصورة مشهورةً، ولها حضورها في الوجدان الشعبي الإسلامي بصورٍ متعددةٍ.

يقول النورسي إن من يرتكب إثمًا يخجل منه، فيرغب إنكار الملائكة، ومن يقترف كبيرةً تفضي إلى عذاب جهنم -ولا يستغفر- تتولد لديه جرأة إنكار جهنم، ومن لا يقيم الفرائض ولا يؤدي وظيفة العبودية حق الأداء، تؤدي به إلى الضيق الشديد، والرغبة في الإنكار والعداء المعنوي تجاه

(١) اللمعات، ص١١.





الألوهية، ويستشهد بالآية الكريمة:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1].

الدواء الشافي:

ويخلص النورسي إلى أن التقوى والسنة النبوية والاستغفار هي الدواء الشافي وسوسة الشيطان وجنوده، وسلاح المؤمن في مواجهة المعاصي:

«فيا معشر أهل الإيمان! إن درعكم المنيع لصد أولئك الأعداء، هو التقوى المصنوعة في دوحة القرآن الكريم، وإن خنادقكم الحصينة هي سنة نبيكم -عليه أفضل الصلاة والسلام-. وأما سلاحكم فهو الاستعاذة والاستغفار والالتجاء إلى الحرز الإلهي»[2].



إن النورسي يرى أن «الاستغفار يقتضي الاعتراف بالذنب والتقصير، والاستعاذة من الشيطان، والاعتراف في كل

(١) المطففين: ص١٤.

(٢) اللمعات، اللمعة الثالثة عشرة، ص١١-١١٥.



الأحوال يفضي إلى العفو:

«ومن اعترف بتقصير نفسه يستغفر ربه، ومن يستغفر ربه يستعذ به من الشيطان الرجيم، وعندها ينجو من شروره. وإنه لتقصير أكبر ألا يرى الإنسان تقصيره، وإنه لنقص أعظم كذلك ألا يعترف بنقصه، ومن يرى عيبه وتقصيره، فقد انتفى عنه العيب، حتى إذا إما اعترف يصبح مستحقًا للعفو[1].

إن طرح القيم السلبية يكشف عن طبيعتها ونتائجها المدمرة بالنسبة للإنسان الفرد والمجتمع المسلم على السواء. وهذا الطرح الكاشف لا يكفي حيث لابد من تقديم العلاج المفيد النافع، وهو ما يقدمه النورسي من خلال المفاهيم القرآنية لعلاج كل قيمةٍ سلبيةٍ على حدةٍ، مع التركيز على (الاستغفار) ليكون قيمةً إيجابيةً تنهض بتطهيرِ المسلم أولًا بأولٍ، وتزكيةً لروحه، وتجديدا لحياته كي تفارق الذنوب والخطايا، وتولد من جديدٍ صافيةً نقيةً.



(١) السابق، ص١٣٤.





وبعد:

فإن فلسفة الأخلاق الإسلامية من خلال رسائل النور تحض على كل ما هو إيجابيٌ وفعالٌ ومفيدٌ ونافعٌ في إسعاد الفرد والجماعة، وهو ما بيّنه القرآن الكريم ووضحته السنة النبوية المطهرة، وأيدته أحداث الوقائع والتاريخ... وأيضا؛ فإنها ترفض ما هو سلبيٌ وسيئٌ، لأنه يضعف الفرد ويدمر الجماعة، لذا فإن أخلاق الإسلام تحرص على تطهير النفس الإسلامية أولًا بأولٍ، وتزكيتها بالاستغفار والتوبة والندم حتى تستحق العفو والغفران، وتنعم بالسعادة في الدنيا والآخرة.







إعجاز القرآن في رسائل النور





-١-

حلمٌ عن الإعجاز

يخبرنا النورسي عن بداية اهتمامه بقضية إعجاز القرآن الكريم، فيحكي حلمًا رآه في زمنٍ بعيدٍ، وفي هذا الحلم يجيب على سائلٍ سأله عن الإعجاز، فيذكر وجوهه المختلفة، يقول النورسي:

[رأيت في الماضي فيما يرى النائم: أنني تحت جبل آرارات. انفلق الجبل على حين غرةٍ، وقذف صخورًا بضخامة الجبال إلى أنحاء العالم، فهز العالم وتزلزل.



وفجأةً وقف بجنبي رجلٌ، قال لي: بيّن بإيجاز ما تعرفه مجملًا من أنواع الإعجاز... إعجاز القرآن.

يقول النورسي: فكرت في تعبير الرؤيا وأنا ما زلت فيها، وقلت إن ما حدث من انفلاق مثال لما يحدث في البشرية من انقلابٍ، وسيكون هدى القرآن بلا ريبٍ عاليًا ومهيمنًا في هذا الانقلاب، وسيأتي يوم يبين فيه إعجازه.





أجبت ذلك السائل قائلًا:

إن إعجاز القرآن يتجلى من سبعة منابع كليةٍ، ويتركب من سبعة عناصر...»، ويسرد النورسي هذه المنابع التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

المنبع الأول: سلاسة لسانه، وفصاحة لفظه، ولا يمل الإنسان من تكراره.

المنبع الثاني: الإخبار السماوي عن الغيوب في الحقائق الغيبية الكونية والأسرار الغيبية للحقائق الإلهية.

المنبع الثالث: للقرآن جامعيةٌ خارقةٌ في لفظه ومعناه وأحكامه وعلمه ومقصده.



المنبع الرابع: بابه مفتوحٌ لكل عصرٍ ولكل طبقةٍ من طبقاته، حتى كأن ذلك الكلام الرحماني ينزل في كل مكانٍ في كل حينٍ. [فكلما شاب الزمان شب القرآن وتوضحت رموزه].

المنبع الخامس: ينقل النقاط الأساسية للأخبار الصادقة كالشاهد الحاضر لها لينبه البشر. ألا إنه لمعجزةُ هذا الزمان

أن يصدر مثل هذه الأمور النقلية من (أميّ)!.

المنبع السادس: مؤسس الإسلام ومتضمنه. ولن تجد مثل الإسلام إن تحريت الزمان والمكان، لا في الماضي ولا في المستقبل. إنه حبل الله المتين يمسك الأرض لئلا تنفلت.

المنبع السابع: فإن الأنوار الستة المفاضة من هذه المنابع الستة يمتزج بعضها ببعضٍ فيصدر شعاعٌ حسنٌ فائقٌ ويتولد حدسٌ ذهنيٌ، وهو الوسيلة النورانية ويصدر عن هذا ذوقٌ يُدرك به الإعجاز وطوال ثلاثة عشر قرنًا من الزمان يحمل أعداء القرآن روح التحدي والمعارضة، وتولدت في أوليائه وأحبائه روح التقليد والشوق إليه، وهو ذاته برهان الإعجاز. إن القرآن لا يقاس بسائر الكتب ولا يشبهها قطعًا.



بيّن كتاب (إشارات الإعجاز) واحدًا من أربعين نوعًا من ذلك الإعجاز، ولم تف مائة صفحةٍ من تفسيرٍ لبيان نوعٍ واحدٍ[1].

---

(١) الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط٢، دار سوزلر، القاهرة ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م (ملحمة قسطموني، ص١٨٣-١٨٧).



الإعجاز وترجمة القرآن:

والنورسي حين يضع هذا التصور النظري، أو رؤيته النظرية لإعجاز القرآن الكريم التي تبدو متسقةً أو مرتكزةً على جهود السلف الصالح من علماء الأمة في تفسير الإعجاز القرآني، فإن الواقع المعاصر يستنهضه ليواجه محاولات بعض خصوم الإسلام في رفضهم للإعجاز عن طريق الترجمة، ويعتقد أن الترجمة لا يمكن أن تقدم مسوغًا لهؤلاء الخصوم وتثبت لهم أن القرآن غير معجزٍ، فالقرآن معجزٌ في اللغة العربية التي نزل بها، ولذا لا يمكن ترجمته، ويحكي قصةً أو تجربةً شخصيةً مع بعضهم على النحو التالي:

[طرق سمعي قبل اثني عشرة سنةً؛ أن زنديقًا عنيدًا، قد فضح سوء طويته وخبث قصده بإقدامه على ترجمة القرآن الكريم، فحاك خطةً رهيبةً، للتهوين من شأنه بمحاولة ترجمته. وصرح قائلًا: ليترجم القرآن لتظهر قيمته؟ أي ليرى الناس تكراراته غير الضرورية! ولتتلى ترجمته بدلًا منه! إلى آخره من الأفكار السامة. إلا إن رسائل النور -بفضل الله- قد



شلت تلك الفكرة وعقمت تلك الخطة بحججها الدامغة بانتشارها الواسع في كل مكان، فأثبتت إثباتًا قاطعًا أنه:

لا يمكن قطعًا ترجمة القرآن ترجمةً حقيقيةً... وإن أية لغةٍ غير اللغة العربية الفصحى عاجزةٌ عن الحفاظ على مزايا القرآن الكريم ونكتة البلاغة اللطيفة... وإن الترجمات العادية الجزئية التي يقوم بها البشر لن تحل -بأي حال- محل التعابير الجامعة المعجزة للكلمات القرآنية التي في كل حرفٍ من حروفها حسناتٌ تتصاعد من العشرة إلى الألف، لذا لا يمكن مطلقًا تلاوة الترجمة بدلًا منه.

بيد أن المنافقين الذين تتلمذوا على يد ذلك الزنديق؛ سعوا بمحاولات هوجاء في سبيل الشيطان ليطفئوا نور القرآن الكريم بأفواههم، ولما كنت لا ألتقي أحدًا، فلا علم لي بحقيقة ما يدور من أوضاعٍ، إلا أن أغلب ظني ما أوردته آنفًا هو السبب الذي دعا إلى إملاء هذه المسألة العاشرة رغم ما يحيط بي من ضيقٍ[1].



(١) السابق. (ملحق قسطموني، ص ١٨٩).



ويطرح النورسي في سياق الإعجاز القرآني مقارنةً طريفةً وذكيةً تكشف عمق الأدب القرآني، وإنسانيته، وعطائه السخي لمن يتأدب بأدب القرآن المعجز، على العكس من معطيات الأدب الغربي الذي يروج له الغربيون، بحكم قوتهم، وهيمنتهم على العالم، فنرى أدبهم يقود إلى الكذب والفجور والسقوط، بينما أدب القرآن الكريم يمنح الإنسان قيم الحق والجمال والحسن المجرد، وها هي المقارنة كما يقدمها النورسي:

الأدب الغربي:

وبلا خجلٍ ولا حياءٍ!... وضع الأدب الأجنبي لسانًا كاذبًا في فم البشر... وركب عينًا فاسقةً في وجه الإنسان، وألبس الدنيا فستان راقصةٍ ساقطةٍ.

فمن أين سيعرف هذا الأدب؛ الحسن المجرد؟

حتى لو أراد أن يُري القارئ الشمس؛ فإنه يذكره بممثلةٍ شقراء حسناء.



وهو في الظاهر يقول: «السفاهة عاقبتها وخيمةٌ، لا تليق



بالإنسان»... ثم يبين نتائجها المضرة...

إلا إنه يصورها تصويرًا مثيرًا إلى حدً يسيل منه اللعاب، ويفلت منه زمام العقل، إذ يضرم في الشهوات، ويهيج النزوات. حتى لا يعود الشعور ينقاد لشيءٍ[1].

أدب القرآن الكريم:

فإنه لا يحرك ساكن الهوى، لا يثيره، بل يمنح الإنسان الشعور بنشدان الحق وحبه، والافتتان بالحسن المجرد، وتذوق عشق الجمال، والشوق إلى محبة الحقيقة... ولا يخدع أبدًا.

فهو لا ينظر إلى الكائنات من زاوية الطبيعة، بل يذكرها صنعةً إلهيةً، صبغةً رحمانيةً، دون أن يحير العقول، فيلقن نور معرفة الصانع...



ويبين آياته في كل شيءٍ...[2].

(١) نفسه (ملحق قسطموني، ص١٨٩-١٩٠).

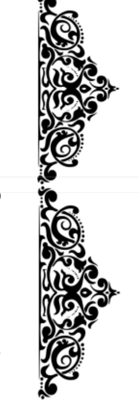
(٢) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة: إحسان قاسم صالحي، ط ٢، دار سوزلر، القاهرة، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ص٣٣-٣٤.



ويشير النورسي إلى نقطةٍ ذكيةٍ، ربما تبدو غير مسبوقةٍ، وهي أثر كلٍ من الأدبين القرآني والغربي في النفس الإنسانية، فالأدب الغربي، لأنه قاصرٌ وحسيٌّ، ويخاطب الغريزة أكثر مما يخاطب الروح والنفس والوجدان، فإن ما يخلفه من حزنٍ يورث الكآبة والهم والألم، أما أدب القرآن فإنه يمنح صاحبه حزنًا شفافًا ساميًا، يرقى بالروح إلى المثال والصفاء والنقاء، ويوضح النورسي الفارق بين الحزنين في هذا الأداء الراقي الذي تبسطه كلماته التالية:

الأدبان (الأدب الغربي وأدب القرآن)... كلاهما يورث حزنًا مؤثرًا، إلا إنهما لا يتشابهان.

فما يورثه أدب الغرب هو حزن مهمومٍ، ناشئٌ من فقدان الأحباب، وفقدان المالك، ولا يقدر على منح حزنٍ سامٍ رفيعٍ.



إذ استلهام الشعور من طبيعةٍ صماء، وقوةٍ عمياء يملؤه بالآلام والهموم حتى يغدو العالم مليئًا بالأحزان، ويلقي

الإنسان وسط أجانب وغرباء دون أن يكون له حامٍ ولا مالكٌ! فيظل في مأتمه الدائم...

وهكذا تنطفئ أمامه الآمال.

أما أدب القرآن الكريم:

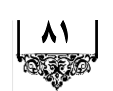
فإنه يمنح حزنًا ساميًا علويًّا، ذلك هو حزن العاشق، لا حزن اليتيم... هذا الحزن نابعٌ من فراق الأحباب، لا من فقدانهم.

ينظر إلى الكائنات؛ على أنها صنعةٌ إلهيةٌ، رحيمةٌ بصيرةٌ بدلًا من طبيعةٍ عمياء، بل لا يذكرها أصلًا وإنما يبين القدرة الإلهية الحكيمة، ذات العناية الشاملة، بدلًا من قوةٍ عمياء.

فلا تلبس الكائنات صورة مأتمٍ موحشٍ، بل تتحول -أمام ناظريه- إلى جماعةٍ متحابةٍ، إذ في كل زاويةٍ تجاوبٌ، وفي كل جانبٍ تحاببٌ، وفي كل ناحية تآنسٌ... لا كدرٌ ولا ضيقٌ.

هذا هو شأن الحزن العاشقي.

وسط هذا المجلس يستلهم الإنسان شعورًا ساميًا، لا حزنًا



يضيق منه الصدر.

ولا يتوقف الأمر على إحساس الحزن الذي يخلفه كلٌّ من الأدبين، فهناك أيضًا أثرٌ للشوق والفرح. ولكن أي شوقٍ، أي فرحٍ؟ يقول النورسي:

الأدبان... كلاهما يعطيان شوقًا وفرحًا.

فالشوق الذي يعطيه ذلك الأدب الأجنبي؛ شوقٌ يهيج النفس، ويبسط الهوس... دون أن يمنح الروح شيئًا من الفرح والسرور.

بينما الشوق الذي يهبه القرآن الكريم؛ شوقٌ تهتز له جنبات الروح، فتعرج به إلى المعالي[1].



الإعجاز ولغة العصر:

وقد يرى بعض الباحثين أن المقارنة بين الأدبين الغربي والقرآني غير ذات صلةٍ بموضوع الإعجاز القرآني، ولكن ذكاء النورسي يذهب بعيدًا حين يؤصل لمفهوم الإعجاز بما يتلاءم

---

(١) السابق، ص١٢١ وما بعدها.

مع لغة الواقع والعصر، فالأدب بصفةٍ عامةٍ تعبيرٌ، ولكن التعبير القرآني يختلف عن أي تعبيرٍ آخر، سواء في الماضي البعيد، حيث نزل القرآن في بيئةٍ تعلم جيدًا أن الأدب قيمةٌ تعبيريةٌ، ذات تأثيرٍ على الناس. وفي هذه البيئة وصل تأثير التعبير الأدبي إلى حد أن تولم القبيلة العربية حين ينبغ فيها شاعرٌ، وتتيه على بقية القبائل لشاعرها النابغة وخطيبها المفوه، وحين ينزل القرآن الكريم متحديًّا ومعجزًا في مجال التعبير فإن الأمر يعني أشياءَ كثيرةً. وكذلك الأمر في البيئة الغربية التي هي أقرب إلى بيئة النورسي، حيث يهيمن التعبير الأدبي الغربي من قصصٍ وروايات وأشعارٍ ومسرحٍ وغيره على الذائقة الأدبية والوجدانية هناك، ويجد مساحة اهتمامٍ غير مسبوقةٍ لدى من يقرءون ويكتبون، وهنا يكون للمقارنة بين التعبير القرآني وأدبه من ناحيةٍ وبين التعبير الأدبي الغربي المهيمن والمسيطر من ناحيةٍ أخرى ضرورةٌ كبرى تكشف عن إعجاز القرآن، من الناحية المعنوية، بعد أن أخفقت عملية ترجمته إلى لغةٍ أخرى غير اللغة العربية، حيث صار المتاح عمليًا هو ترجمة المعاني، وهي ترجمةٌ



تختلف من شخصٍ إلى آخر، ولا تستوعب معطيات اللغة العربية ودلالاتها مهما كانت براعة المترجم، مما يؤكد إعجاز القرآن الكريم، وهو ما أشار إليه النورسي في مفتتح البحث.





-٢-

وقد تناول النورسي قضية الإعجاز في معظم رسائل النور ومجلداتها الضخمة، وقد قصر واحدًا منها على قضية الإعجاز، وإن كان يسمي بعض عمله فيه تفسيرًا لآيات، وهو كلامٌ صحيحٌ إلى حدٍ ما، ولكنه يأتي في إطار القضية الكبرى وهي إعجاز القرآن الكريم.

مثالٌ من سورة الفاتحة:

لقد خصص كتابه أو واحدًا من مجلدات رسائل النور واسمه (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز)، ليتناول مجموعةً كبيرةً من الآيات، يطرح من خلال تفسيرها وما تحمله من أبعادٍ دلاليةٍ ومعنويةٍ قد لا يراها كثيرٌ من الناس صورًا من إعجاز التعبير القرآني، مع تركيزه على قضية النظم، كما عرفت لدى الإمام عبد القاهر الجرجاني، ويضرب مثالًا على ذلك من خلال سورة الفاتحة، فيقول:

[اعلم أن نظم در القرآن ليس بخيطٍ واحدٍ بل النظم -في كثيرٍ- نقوشٌ تحصل من نسج خطوط نسبٍ متفاوتةٍ قربًا وبعدًا، ظهورًا وخفاءً. لأن أساس الإعجاز بعد الإيجاز هذا النقش: مثلًا (صراط الذين أنعمت عليهم) يناسب:

(الحمد لله) لأن النعمة قرينة الحمد..

و(رب العالمين) لأن كمال التربية بترادف النعم...

و(الرحمن الرحيم) لأن المنعم عليهم -أعني الأنبياء والشهداء والصالحين- رحمةٌ للعالمين، ومثالٌ ظاهرٌ للرحمة...

و(مالك يوم الدين) لأن الدين هو النعمة الكاملة...

و(نعبد) لأنهم الأئمة... [يقصد الأئمة في العبادة]

و(نستعين) لأنهم الموفقون...

و(اهدنا)لأنهم الأسوة بسر (فبهداهم اقتده) [سورة الأنعام:٩٠].

و(الصراط المستقيم) لظهور انحسار الطريق المستقيم في مسلكهم. هذا مثالٌ لك فقس عليه[١].

---

(١) الكلمات : ص٤٥١.



النقش المعجز:

هذا النظم القرآني هو ما يسميه النورسي بالنقش المعجز، أو النقوش التي تحصل من نسج خطوط نسبٍ متفاوتةٍ قربًا وبعدًا، ظهورًا وخفاءً، فالإعجاز كما يراه النورسي هو النقش الذي ضرب عليه المثال السابق الذي رأيناه في سورة الفاتحة...

وفي ثنايا الكتاب (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) تقابلنا مفرداتٌ كثيرةٌ تشير إلى نواحٍ إعجازيةٍ عديدةٍ، بالإضافة إلى قضايا الإعجاز الرئيسية ومنها:

تعريف القرآن، حكمة التكرار في القرآن، سر الإطلاق والحذف، الإطناب، الإفراد والجمع، أغراض التشبيه والتمثيل في القرآن، حكمة التمثيل، دفع شبهاتٍ عن القرآن، هل يمكن معارضة القرآن، نظم الجمل مع بعضها، لم لا يرى المنافق الإعجاز؟ الالتفات، الإعجاز في قصص الأنبياء، مع الوقوف في معظم صفحات الكتاب عند وجه الإعجاز في آيات مختارة من القرآن الكريم ووجه النظم المعجز فيها من خلال تفسيرها.

ثم نراه في كتاب الإشارات هذا يتوقف عند اثنتي عشرة مسألةً يوضح من خلالها الإعجاز القرآني، وهي:

١- نظم المعاني.

٢- السحر البياني.

٣- أسلوب الكلام.

٤- قوة الكلام.

٥- مستتبعات الكلام.

٦- أنواع المعاني.

٧- نواة الخيال.

٨- تعدد المعاني.

٩- أعلى مراتب البلاغة.

١٠- سلاسة الكلام.

١١- سلامة الكلام.

١٢- أنواع الأساليب.





قوة الكلام:

ومن أمثلة المعالجة لهذه المسائل، ما كتبه عن قوة الكلام في المسألة الرابعة. يقول النورسي:

[اعلم أن الكلام إنما يكون ذا قوةٍ وقدرةٍ إذا كان أجزاؤه مصداقًا لما قيل:

عباراتنا شتى وحسنك واحدٌ وكلٌّ إلى ذلك الجمال يشير

بأن تتجاوب قيودات الكلام ونظمه وهيئته، ويأخذ كلٌّ بيد الآخر ويظاهره، ويمد كلٌّ بقدره الغرض الكلي مع ثمراته الخصوصية. كأن الغرض المشترك حوضٌ يتشرب من جوانبه الرطبة، فيتولد من هذه المجاوبة المعاونة، ومنها الانتظام، ومنه التناسب، ومنه الحسن والجمال الذاتي. وهذا السر من البلاغة يتلألأ من مجموع القرآن لاسيما في ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ (أول سورة البقرة)، كما سمعته مع التنظير بقوله: ﴿وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ [الأنبياء:٤٦][1].



(١) السابق : ص٤٥٢-٤٥٣.





رسالة المعجزات:

في مجلد الكلمات يتابع مسيرته في الحديث عن أوجه الإعجاز القرآني من خلال الكلمة الخامسة والعشرين، التي يسميها رسالة المعجزات، وفقًا لمنهجه في تتبع الدلالة العميقة للألفاظ والبناء اللغوي متأثرًا في ذلك بالإمام عبد القاهر الجرجاني، حيث تظهر المصطلحات النحوية كثيرًا، وهو يفسر ويستكشف الإعجاز في الآية التي يتناولها، ويقترب في (الكلمات) من العلماء القدامى الذين عالجوا أوجه الإعجاز من خلال مفردات بلاغية، وإن كانت روح النورسي تفرض وجودها على تعبيراته، بل على ألفاظه، ومصطلحاته، وتشبيهاته، كما نرى على النحو التالي في رسالة المعجزات...



إنه يتناول الموضوع من خلال ثلاث شعلٍ :

الشعلة الأولى وتتضمن ثلاثة أشعات:

الأول: بلاغة القرآن معجزة.

الثاني: جامعيته الخارقة.

الثالث: الإخبار عن الغيب.

الشعلة الثانية وتتضمن ثلاثة أنوار:

الأول: سلاسة الجمل.

الثاني: عشر مزايا بلاغية.

الثالث: عدم القياس بأي كلام آخر.

الشعلة الثالثة، وتتضمن ثلاثة أضواء:

الأول: كيف يشاهد الإعجاز؟

الثاني: حكمة القرآن وفلسفة الإنسان.

الثالث: حكمة تلاميذ القرآن وحكمة القرآن نفسه.

ذيل أول: عظمة القرآن.

ذيل ثان: التكرار..



تأمل هنا استخدامه للألفاظ المعبرة عن الإضاءة أو النور (الشعلات - الأشعة - الأنوار) وهي تحمل معنى الكشف والإبانة والوضوح والظهور...

ولنأخذ مثالًا يوضح منهج معالجته لجانبٍ من جوانب الإعجاز يتمثل في تفسيره أو قراءاته لقوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ:٧].

إنه يقرؤها من خلال تصورات أفرادٍ عديدين تختلف ثقافاتهم وقدراتهم الذهنية واهتماماتهم الفكرية والعملية، ولكنه يراها تمثل بحقٍ مفهوم الجامعية الخارقة للقرآن الكريم في لفظه. يقول النورسي مذكرًا لنا بمنهجه القائم على مفهوم النظم عند عبد القاهر، واهتمامه بالألفاظ وتركيبها وتجاورها من خلال علم النحو :

[هذه الجامعية واضحةٌ جليةٌ في الآيات المذكورة في الكلمات السابقة وفي هذه الكلمة.



نعم! إن الألفاظ القرآنية قد وضعت وضعًا بحيث إن لكل كلامٍ بل لكل كلمةٍ بل كل حرفٍ بل حتى السكون أحيانًا؛ وجوهًا كثيرةً جدًا تمنح كل مخاطبٍ حظه ونصيبه من أبوابٍ مختلفةٍ، كما يشير إلى ذلك الحديث الشريف، فلكل آيةٍ ظهرٌ

وبطنٌ، وحدٌ ومطلعٌ، ولكلٍ شجونٌ وغصونٌ وفنونٌ[1] فمثلًا:

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾

فحصة علمي من هذا الكلام أنه:

يرى الجبال كالأوتاد المغروزة في الأرض كما هو ظاهرٌ أمام عينيه، فيتأمل ما فيها من نعمٍ وفوائد، ويشكر خالقه.

وحصة شاعرٍ من هذا الكلام أنه:

يتخيل أن الأرض سهلٌ منبسطٌ، وقبة السماء عبارةٌ عن خيمةٍ عظيمةٍ خضراء ضربت عليه، وزينت الخيمة بمصابيح، وأن الجبال تتراءى وهي تملأ دائرة الأفق تمس قممها أذيال السماء، وكأنها أوتاد تلك الخيمة العظيمة. فتغمره الحيرة والإعجاب ويقدس الصانع الجليل.

أما البدوي البليغ فحصته من هذا الكلام أنه:

يتصور سطح الأرض كصحراء واسعةٍ، وكأن سلاسل

(١) المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط ٢، دار سوزلر، القاهرة،١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م، ص٢٤١.



الجبال سلسلةٌ ممتدةٌ لخيامٍ كثيرة بأنواعٍ شتى لمخلوقات متنوعةٍ...

أما الجغرافي الأديب فحصته من هذا الكلام أنه:

يرى كرة الأرض عبارةً عن سفينةٍ تمخر عباب بحر المحيط الهوائي أو الأثيري، وأن الجبال أوتادٌ دقت على تلك السفينة للتثبيت والموازنة...

أما المتخصص في أمور المجتمع وألمّ بمتطلبات الحضارة الحديثة فحصته من هذا الكلام:

أنه يفهم الأرض عبارة عن مسكن، وأن عماد هذا المسكن هو حياة ذوي الحياة، وأن عماد تلك الحياة هو الماء والهواء والتراب التي هي شرائط الحياة وأن عماد هذه الثلاثة هو الجبال، لأن الجبال مخازن الماء، مشّاطة الهواء ومصفاته...

وحصة فيلسوفٍ طبيعيٍ من هذا الكلام:

أنه يدرك أن الامتزاجات والانقلابات والزلازل التي تحصل في باطن الأرض تجد استقرارها وسكونها بظهور



الجبال، فتكون الجبال سببًا لهدوء الأرض واستقرارها حول محورها ومدارها وعدم عدولها عن مدارها السنوي وكأن الأرض تتنفس بمنافذ لجبالٍ فيخف غضبها وتسكن حدتها.. هكذا يفهم ويطمئن ويلج في الإيمان قائلًا: الحكمة لله[1]).

وجميع هؤلاء كما يتوصل النورسي، يسجدون لله -سبحانه- على فضله ونعمه بعد أن يتوصلوا وفقًا لمستوياتهم الثقافية إلى سر الإعجاز القرآني من خلال هذه الآية الكريمة وغيرها من آيات القرآن الكريم.



---

(١) السابق، هامش ص٢٤٢.



-٣-

قراءةٌ مقنعةٌ

بيـد أن النورسـي، وهـو يجتهـد في بيـان إعجـاز القـرآن الكريم، يسعى إلى تقديم قراءةٍ مقنعـةٍ لمـا يتجلـى في قلبـه مـن وجـوه هـذا الإعجـاز، وقـد سـبقت الإشـارة إلـى أن قضـية الإعجاز تكـاد تكـون محـور رسـائل النـور بصـورةٍ وأخـرى، ويلاحظ أن التناول لهـذه القضية يبـدو في كـل موضـعٍ جديـدًا عـن الموضـع الآخـر، بحيـث لا يكـرر نفسـه أو يقـع في شـرك الرتابة والملل، فالقارئ لرسـائل النـور يسـعد بمـا يـراه في كـل موضعٍ منها عن الإعجاز ودلالاتـه، فعلـى سـبيل المثـال يبـدو حديثه عـن الإعجـاز في المكتوبـات مـثلًا أقـرب إلـى مواجهـةٍ عصريةٍ من خلال مفرداتٍ حديثةٍ مثل الطباعة والكتابة...



تأمل مثلًا ما يقوله عن المصحف العثماني ويـراه إعجـازًا في طباعة القرآن:

[إن كلمات المصحف المطبوع بخـط (الحـافظ عثمـان)

تتقابل وينظر بعضها إلى بعض.

مثلًا كلمة (وثامنهم كلبهم) التي هي في سورة الكهف تناظر كلمة (قطمير) التي هي في سورة فاطرٍ، فلو ثقبت الصفحات ابتداءً من الكلمة الأولى لتبينت الكلمة الثانية بانحرافٍ يسيرٍ، ولفهم اسم الكلب.

وكذا كلمة (محضرون) المكررة مرتين في سورة يسٍ نرى إحداهما فوق الأخرى، وهما يقابلان كلمة (محضرون)، و(محضرين) التي في آخر سورة (سبأٍ) فإذا ما ثقبت إحداها لظهرت من خلال الصفحات الكلمة نفسها مع انحرافٍ قليلٍ.



وكذا كلمة (مثنيً) تنظر إلى الكلمة نفسها التي هي في مستهل سورة فاطرٍ والمكررة مرتين، ففي القرآن تتكرر كلمة (مثنىً) ثلاث مراتٍ، وتناظر اثنتين منها ليس موضع المصادفة قطعًا.

ولهذا النوع من التناظر والتقابل أمثلةٌ كثيرةٌ جدًا في المصحف الشريف حتى إن الكلمة الواحدة تتكرر فيما يقرب

من ست مواضع، فإذا أوصل بينها بثقب لتراءت الأخريات بانحرافٍ يسيرٍ.

ولقد شاهدت مصحفًا خطت الجمل المتناظرة في صحائفه المتقابلة بخطٍّ أحمر، فقلت آنذاك: (هذه الأوضاع هي أماراتٌ لنوعٌ من الإعجاز)، ثم بعد ذلك أخذت أنظر إلى جمل القرآن الكريم فرأيت أن كثيرًا منها تتناظر من خلال الصفحات تناظرًا ينم عن معنىً دقيقٍ[1].

ملاحظةٌ في الشكل:

وهناك طرفةٌ أخرى تتعلق بمصحف (بركنار) نشأت من ملاحظة النورسي لوضع السور والآيات في هذا المصحف، من حيث حجم الصفحات والسطور، يشير إليها بقوله:

[تنتهي الآيات الكريمة بنهاية الصحيفة (في كثيرٍ من المصاحف المسمى بركنار) فتختم الصحيفة بقافيةٍ جميلةٍ، وسر هذا أن أطول آيةٍ في القرآن الكريم وهي آية المداينة قد



(١) نفسه، ص٢٣٨-٢٤٣. وقد ورد كلام النورسي تحت عنوان: المعجزات الأحمدية - الإشارة الثامنة عشرة.

اتخذت وحدة قياس صحيفة المصحف، واتخذت سورة الإخلاص والكوثر وحدة قياس طول السطر، وبهذا ظهرت هذه الميزة اللطيفة وعلامة الإعجاز للقرآن الكريم][1].

وإذا كان النورسي، يتتبع مجالات الإعجاز ووجوهه حتى في الأمور الشكلية التي تتعلق بالطباعة ورسم الكلمات؛ وطول السطور وعلاقته بالسور والآيات، فإنه يتعمق باستمرار في اكتشاف ما يسميه بالنكات أو الطرائف البلاغية التي يتميز بها الإعجاز.

ثلاث نكاتٍ:



إنه يقدم في المكتوبات مثلًا ثلاث نكاتٍ يفصلها على النحو التالي، وأنقل معظمها بتصرفٍ، ليتسنى للقارئ أو المتلقي إدراك حجم الجهد والتوفيق الذي صاحب تناول النورسي لقضية الإعجاز. يقول النورسي:

[إن أعظم معجزةٍ من معجزات الرسول الأكرم ﷺ هو

(١) نفسه،....ص٢٤٧-٢٤٨.





القرآن الكريم، الذي يضم مئات دلائل النبوة، وقد ثبت إعجازه بأربعين وجهًا كما في الكلمة الخامسة والعشرين، لذا سنحيل بيان هذا الكنز العظيم للمعجزات إلى تلك الكلمة، ونكتفي هنا ببيان ثلاث نكاتٍ دقيقةٍ.

النكتة الأولى:

سؤالٌ:

إن قيل: إن سر إعجاز القرآن الكريم إنما هو في بلاغته الفائقة، بينما لا يرقى إلا واحدٌ من الألف من علماء البلاغة الفطاحل إلى إدراك هذا السر، مع أنه كان ينبغي أن تكون لكل طبقةٍ من طبقات الناس حظها من هذا الإعجاز؟



الجواب:

إن للقرآن الكريم إعجازًا لكل طبقةٍ من طبقات الناس، إلا أنه يُشْعر إعجازه هذا بأسلوبٍ معينٍ وبنمطٍ خاصٍ.

فمثلًا يبين إعجازه الباهر (لأهل البلاغة والفصاحة).

ومثلًا يبين أسلوبه الرفيع الجميل الفريد (لأرباب الشعر

والخطابة). هذا الأسلوب مع أنه تستسيغه كل طبقةٍ من الناس إلا أن أحدًا لا يجرؤ على تقليده؛ فلا تُخلقه كثرة الرد ولا يبليه مرور الزمان، فهو أسلوبٌ غضٌ طريٌّ يحتفظ بفتوته وشبابه ونضارته دائمًا، وهو أسلوبٌ يحمل من النثر المنظوم والنظم المنثور ما يجعله رفيعًا عاليًا ولذيذًا ممتعًا في الوقت نفسه.

ثم إنه يبين إعجازه فيما يخبر من أنباءٍ معجزةٍ عن الغيب فيتحدى به طبقة الكهان (والذين يدعون أنهم يخبرون أشياء عن الغيب).

ثم إنه يقص (لأهل التاريخ) والذين يتتبعون أحداث العالم من العلماء ما يشعرهم إعجازه...

وهكذا تفتح أمام كل طبقةٍ من الطبقات الأربعين للناس نافذةً مطلةً على الإعجاز الباهر، بل إنه يبين إعجازه حتى لأولئك الذين لا يملكون سوى قدرة الاستماع من دون أن يقدروا على التوغل في الفهم من (عوام الناس) فنراهم يصدقون إعجازه ويشعرون به بمجرد سماعهم له، إذ يحاور



ذلك العامي نفسه ويقول: «إن أسلوب هذا القرآن يختلف تمامًا عن أساليب الكتب الأخرى، فإما أنه في مستوىً من الأسلوب هو أدنى منها وهذا محالٌ -بل لم يتفوه به ألد الأعداء وأهل الخصومة، أو هو أسلوبٌ أرقي من الجميع أي إنه معجزٌ».

النكتة الثانية:

الإعجاز من جنس ما تفوق فيه أهل الزمان، معجزة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيما يشبه السحر، وأغلب معجزات عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الطب... وكانت هناك أربعة أشياء رائجةٌ في الجزيرة العربية زمن بعثة الرسول ﷺ:



١- البلاغة والفصاحة.

٢- الشعر والخطابة.

٣- الكهانة والإنباء عن الغيب.

٤- معرفة الحوادث الماضية والوقائع الكونية.

فجثا البلغاء والفصحاء أولًا مبهوتين أمام بلاغته المعجزة،

منصتين إليه في حيرةٍ وإعجابٍ.

وجعل الشعراء والخطباء في ذهولٍ من أمرهم، حتى أنه حط من شأن ما كانوا يعتزون به من (المعلقات السبع) التي تمثل أفضل نماذج شعرهم، بل كتبوها بماء الذهب وعلقوها على جدار الكعبة.

وأفقد الكهان والسحرة صوابهم وأنساهم ما كانوا يتكلمون به من أنباء الغيب، حيث طرد جنّهم وأسدل الستار على الكهانة وسد أبوابها إلى الأبد.

وأنقذ قراءة تاريخ الأمم السالفة وحوادث العالم مما يطرأ عليها من الخرافات والافتراءات والأكاذيب، وأرشدهم أحداث الماضي ووقائع الكون النيرة...



النكتة الثالثة:

لقد أنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليّ يومًا تفكرًا حقيقيًا حول مجمل ماهية القرآن الحكيم فأدوّن ذلك التفكر كما ورد للقلب -باللغة العربية- ثم أورد معناه.



[سبحان من شهد على وحدانيته وصرح بأوصاف جماله وجلاله وكماله، القرآن الحكيم المنوّر جهاته الستّ، الحاوي لسر إجماع كل كتب الأنبياء والأولياء والموحّدين المختلفين في الأعمار والمشارب والمسالك، المتفقين بقلوبهم وعقولهم على تصديق أساسات القرآن وكليات أحكامه على وجه الإجمال، وهو محض الوحي بإجماع المنزل والمنزل عليه، وعين الهداية بالبداهة، ومعدن أنوار الإيمان بالضرورة، ومجمع الحقائق باليقين، وموصل إلى السعادة بالعيان، وذو الإثمار الكاملين بالمشاهدة، ومقبول الملك والإنس والجان بالحدس الصادق من تفاريق الأمارات، والمؤيد بالدلائل العقلية باتفاق العقلاء الكاملين، والمصدّق من جهة الفطرة السليمة بشهادة اطمئنان الوجدان، والمعجزة الأبدية الباقي وجه إعجازه على مر الزمان بالمشاهدة، والمنبسط دائرة إرشاده من الملأ الأعلى إلى مكتب الصبيان، يستفيد من عين درس الملائكة مع الصبيين، وكذا هو ذو البصر المطلق يرى الأشياء بكمال الوضوح والظهور ويحيط بها ويقلب العالم في يده



ويعرّفه لنا كما يقلب صانع الساعة في كفه ويعرّف للناس. فهذا القرآن العظيم الشأن هو الذي يقول مكررًا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1].



(١) نفسه، ص٥٠٠-٥٠٣.



-٤-

قضايا دون ترتيبٍ

وعلى طريقة القدماء من علماء البلاغة الذين تصدوا لقضية الأعجاز، نجد النورسي، ينثر عبر رسائل النور بعض القضايا الخاصة بالإعجاز دون ترتيبٍ خاصٍ، ومنها على سبيل المثال، ما جاء في المكتوب التاسع والعشرين، حيث يعرض مجموعة من النكات تتعرض لجوانب إعجازية :

النكتة الأولي:

لا تعرف أسرار القرآن معرفةً كاملةً، ولم يدرك المفسرون حقيقته، وهذا المفهوم له وجهان...

النكتة الثانية:

القسم، وفيه نكاتٌ عظيمةٌ جدًا وأسرارٌ كثيرةٌ جدًا:

منها أن القسم في ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس:١] يشير إلى إظهار الكون كقصرٍ عظيمٍ ومدينةٍ عامرةٍ، والذي هو أساس



التمثيل الرائع الوارد في الكلمة الحادية عشرة)، ومنها...

النكتة الثالثة:

الحروف المقطعة الموجودة في أوائل السور شفراتٌ إلهيةٌ، يعطي بها -سبحانه- بعض الإشارات الغيبية إلى عبده الخاص، ومفتاح تلك الشفرة، لدى ذلك العبد الخاص، ولدى ورثته[(١)].

كما نراه يعرض ملحوظةً عن تشابه بعض الكلمات والجمل البشرية مع الآيات القرآنية:

[نعم، إن في كلام البشر ما يشبه كلمات القرآن وجمله وآياته، إلا أن تلك الآية الكريمة والكلمة والجملة القرآنية قد وضعت في موضعها الملائم لها بحيث روعي في وضعها كثيرٌ جدا من الارتباطات والعلاقات مما يلزم علمًا محيطًا كليًا كي يضعها في ذلك الموقع اللائق به][(٢)].

---

(١) السابق، ص٢٤٧.

(٢) أبو بكر محمد بن الطيب (الباقلاني)، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط ٥، دار المعارف، القاهرة، د. ت.





-٥-

التأثر بالسلف

ولعل النورسي، من خلال ظروفه التي شهدت عدم استقرارٍ اجتماعيٍ ونفسيٍ، وحياةٍ ثابتةٍ في المكان والزمان كانت من وراء نثر قضايا الإعجاز عبر رسائل النور، ولعله أيضًا كان متأثرًا ببعض السلف الذين سبقوا وتناولوا قضية الإعجاز، وفي مقدمتهم أبي بكر الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن)، وأبي بكر عبد القاهر الجرجاني في كتابيه(دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، ولعلنا لو ذكرنا أهم العناصر التي توقف عندها الباقلاني مثلًا سنجدها تتقارب مع معظم النقاط التي عالجها النورسي، ولوجدنا درجةً ما من التشابه، وإن كانت طبيعة التناول واللغة والأسلوب وطريقة العرض تختلف إلى حدٍ كبيرٍ.. فالباقلاني في كتابه توقف عند:



شرف القرآن الكريم وواجب المسلمين للكشف عن معانيه وخوض الملحدين في أصول الدين والتشكيك فيه،

وأقوال الملاحدة في القرآن. وتقصير المؤلفين في بيان أوجه الإعجاز وما نجم عنه، والقرآن معجزة محمدٍ ﷺ ومعجزةٌ عامةٌ للإنس والجن في سائر العصور القرآن حجةٌ لازمةٌ عامةٌ -مفارقةٌ حكم القرآن حكم غيره من الكتب المنزلة السابقة. القرآن المرسوم في المصاحف هو الذي جاء به النبي ﷺ، والدليل على عدم تحريفٍ فيه، أو كتمانٍ شيءٍ منه. سماع القرآن حجةٌ على المشركين.

جملة وجوه الإعجاز: الإخبار عن الغيب، إتيان القرآن بجملة ما حدث، بديع نظم القرآن، وعجيب تأليفه، وتناهيه في البلاغة. الباقلاني يوضح الوجوه والمعاني التي يشتمل عليها نظم القرآن، وتأليفه وبلاغته. وهي وجوهٌ عشرةٌ. نفي الشعر من القرآن. نفي السجع من القرآن. أنواع البديع وشواهد لها من القرآن: الاستعارة، التشبيه الحسن، المقابلة، الموازنة، رد الأعجاز على الصدور التكرار، الاستثناء،... قضايا بلاغية مع الشعراء مثل أبي تمام والبحتري وعلى بن الجهم وأبي نواس ومسلم بن الوليد والفرزدق وجرير والجاحظ وكلامه عن كلام

النبي ﷺ وخطبه وكتبه إلى الحكام، ثم يذكر الباقلاني شيئًا عن كلام الصحابة وبعض العرب، ويعود إلى مناقشة نهج القرآن ونظمه ومعارضة القرآن...

ويعود الباقلاني ليكشف عن غرضه من تصنيف كتابه وهو الكشف عن إعجاز القرآن دون الرد على مطاعن الملاحدة، ويشير إلى أن تناول الشعراء من حيث الأبلغ والأشعر ليس من أغراض الكتاب، وينتقد أسلوب الجاحظ وطريقته، ويؤكد أنه ليس في مقدور البشر معارضة القرآن، ويتكلم عن التحدي، ضرورةً أو استدلالًا لمعرفة كون القرآن معجزًا... ثم يخصص فصلًا يصف فيه وجوه البلاغة مثل الإيجاز والإطناب والتشبيه والاستعارة والمبالغة وبيان فساد زعم أن إعجاز القرآن يؤخذ من جميع وجوه البلاغة المتقدمة، وبالإعجاز يتعلق بالبيان، وأن القرآن أعلى منازله ويناقش بعض القضايا البلاغية ويرد على من يزعم أن البيان قد يتعلم، ويناقش مقولات للأشاعرة، كما يناقش العلاقة بين كلام النبي ﷺ والقرآن، بالإضافة إلى بعض القضايا الأخرى



المتعلقة بنزول القرآن...

ومهما يكن من أمرٍ؛ فقد ألح النورسي على بعض هذه القضايا المنهجية في مواضع أخرى من رسائل النور كما نرى في المكتوبات والشعاعات وصيقل الإسلام واللمعات، والمثنوى العربي النوري. فعلى سبيل المثال؛ يتناول في المكتوبات: [المكتوب التاسع والعشرون- القسم الثالث]، تطبيقات فهم وجوه الإعجاز في القرآن الكريم بعد أن يشير إلى كيفية معرفة حقائق القرآن، والقسم في القرآن، والحروف المقطعة، وعدم إمكانية ترجمة القرآن.

وفي المثنوى العربي النوري يتكلم النورسي عن تعريف القرآن الكريم وتكراراته وإبهام بعض مسائله وبلاغته ومنابع علوم القرآن...



وهكذا نجد الرجل يكاد لا يترك شاردةً أو واردةً حول الإعجاز القرآني أتي عليها العلماء القدامى إلا وتناولها في رسائل النور، تناولًا عصريًا حيًّا يقترب من أذهان الخاصة والعامة على السواء، بتناوله المميز والدقيق.. وبالله التوفيق.

كتب للمؤلف

الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود

أولًا: كتب صادرة عن دار النشر الدولي بالرياض:

١ – النقد الأدبي الحديث: بداياته وتطوراته، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٢ – تيسير علم المعاني، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦ م.

٣ – الأدب الإسلامي: الفكرة والتطبيق، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

٤ – محمدٌ ﷺ في الشعر العربي الحديث (طبعةٌ ثانيةٌ منقحةٌ ومزيدةٌ ومجلدةٌ وفاخرةٌ)، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٩م... الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة (مصر)، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

٥ – المدخل إلى البلاغة القرآنية، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

٦ – القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث: دراسة



ونصـوص (طبعـةٌ رابعـةٌ منقحـةٌ ومزيـدةٌ ومجلـدةٌ وفـاخرةٌ)، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩ م.

٧ - تطور النثر العربي في العصر الحديث، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

٨- مدرسة البيان في النثر الحديث، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٦م.

٩- تطور الشعر العربي في العصر الحديث، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.

١٠- المدخل إلى البلاغة النبوية،١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.

١١- الأدب المقـارن: المفهـوم والتطبيـق، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م.

ثانيا: كتب صادرة عن دار العلم والإيمان (دسوق – كفر الشيخ):

١- **الإخـوان والنظـام**: برنـامج الحـزب المسـتحيل، ٢٠٠٩م.



٢- وجوه عربية وإسلامية، ٢٠٠٨م.

٣- الورد والهالوك: شعراء السبعينيات في مصر (طبعة ثالثة)، ٢٠٠٩م. الطبعة الأولى، دار الأرقم، الزقازيق (مصر)، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣ م.

٤ - الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني (طبعة ثالثة)، ٢٠٠٨م. الطبعة الأولى، دار البشير، عمّان (الأردن)، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

٥- الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (طبعة ثالثة)، ٢٠١٠م. الطبعة الأولى، دار الاعتصام، القاهرة، د. ت.

٦- الرواية الإسلامية المعاصرة (طبعة ثانية)، ٢٠٠٩م، الطبعة الأولى، نادي جازان الأدبي (السعودية)، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.



٧- روائع القصص النبوي: في رياض النبوة (٤ أجزاء). الطبعة الثانية، دار الصحابة، طنطا (مصر)، ٢٠١٢م.

٨- شعراء وقضايا: قراءة في الشعر العربي الحديث، ٢٠٠٨م.

ثالثا: كتب صادرة عن مكتبة جزيرة الورد - القاهرة:

١- التمرد الطائفي في مصر: أبعاده وتجلياته، ٢٠١١م.

٢- العمامة والثقافة: دفاع الإسلام وهجوم العلمانية، ٢٠١١م.

٣- عباد الرحمن وعباد السلطان، ٢٠١١م.

٤- الأقلية السعيدة: يوميات التمرد والتسامح، ٢٠١١م.

٥- ثورة الورد والياسمين: من سيدي بوزيد إلى ضفاف النيل، ٢٠١١م.

٦- اخلع إسلامك.. تعش آمنا؟!، ٢٠١١م.

٧- تدبير المنزل - ما بعد الثورة، ٢٠١١م.

٨- الضيافة والشهادة، ٢٠١١م

٩- عواصف الربيع العربي، القاهرة، ٢٠١١م.



رابعًا: إسلاميات:

١- مسلمون لا نخجل (٤ طبعات)، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

٢- حـراس العقيـدة (٣ طبعـات). الطبعـة الأولـى، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

٣- الحـرب الصـليبية العاشـرة، دار الاعتصـام، القـاهرة، د. ت.

٤- العودة إلى الينابيع: فصولٌ عن الفكرة والحركـة، دار الاعتصام، القاهرة، د. ت.

٥- الصـلح الأسـود... والطريـق إلـى القـدس، دار الاعتصام، القاهرة، د. ت.

٦- ثورة المساجد... حجارةٌ من سجيلٍ، دار الاعتصـام، القاهرة، د. ت.

٧- هتلر الشرق...، دار الاعتصام، القاهرة، د. ت.

٨- جاهلية صدام وزلزال الخليج، دار المعـراج الدوليـة للنشر، الرياض، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

٧- أهل الفن وتجارة الغرائز (طبعتان). طبعـة السعودية، مؤسسة آسام للنشر، الرياض، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.



٨- النظام العسكري في الجزائر، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

٩- حفنة سطور... شهادة إسلامية على قضايا الأمة، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

١٠- الأقصى في مواجهة أفيال أبرهة، مركز الإعلام العربي، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

١١- الإسلام في مواجهة الاستئصال، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

١٢- تحرير الإسلام، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.



١٣- دفاعًا عن الإسلام والحرية، دار الاعتصام، القاهرة، د. ت.

١٤- التنوير... رؤيةٌ إسلاميةٌ، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

١٥- معركة الحجاب والصراع الحضاري، مركز الإعلام



العربي، القاهرة، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

١٦- العصا الغليظة، كتاب المختار، القاهرة، د. ت.

١٧- واسلمي يا مصر، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا (مصر)، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

١٨- ثقافة التبعية: المنهج. الخصائص. التطبيقات، دار الفضيلة، القاهرة، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧ م.

١٩- انتصار الدم على السيف، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.

٢٠ - المدافعة والمداولة - قراءة في السنن والتحولات، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان (المغرب)، ٢٠١٢م.

٢١- أهل الفن وتجارة الغرائز، دار الاعتصام، القاهرة، د. ت.



خامسا: كتب أدبية ونقدية:

١-الغروب المستحيل (سيرة كاتب)، المجلس الأعلى

لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، د. ت.

٢-رائحة الحبيب (مجموعة قصصية عن حرب رمضان)، عددٌ خاصٌ من مجلة الثقافة الأسبوعية، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣-الحب يأتي مصادفةً (رواية عن حرب رمضان)، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٦م

٤-موسم البحث عن هويةٍ: دراسات في الرواية والقصة)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨٧م.

٥-حوارٌ مع الرواية في مصر وسورية، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩م..

٦-الوعي والغيبوبة: دراسات في الرواية المعاصرة.، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٧م.

٧-إنسانية الأدب الإسلامي،مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار (مصر)، ٢٠٠٨م.

٨-حصيرة الريف الواسعة، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار (مصر)، ٢٠٠٨م.



٩- أضـواء علـى الروايـة الإسـلامية المعاصـرة، وزارة الأوقـاف والشئون الإسـلامية، سلسـلة روافـد، الكويـت، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩ م.

١٠- الحكاية كلها معاصرةٌ (دراساتٌ في الرواية)، دار حضر موت، المكلا (اليمن)، ٢٠١١ م.

١٢- الحداثة العربية: المصطلح والمفهوم (طبعةٌ ثانيةٌ) دار الاعتصام، القاهرة، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

١٣- بالاشتراك مع آخرين، نجيب محفوظ من الجمالية إلى نوبل، تحرير وإشراف أسامة الألفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢ م.

١٤- بالاشتراك مع آخرين، أمل دنقل عابرًا للأجيال، تحرير وإشراف: أسامة الألفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣ م.

١٥- مطولة على أحمد باكثير، مطبوعات نادي جازان الأدبي (السعودية)، د. ت.



١٦- الحب يأتي مصادفة (رواية عن حرب رمضان)، دار الهلال، ١٩٧٦م.

١٧- لويس عوض: الأسطورة والحقيقة، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

١٨- نحو روايةٍ إسلاميةٍ، ملحق المجلة العربية (٢٩)، الرياض، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

١٩- زمن البراءة: النيل بطعم الجوافة (الجزء الأول من السيرة الذاتية)، الوادي للثقافة والإعلام، القاهرة، ١٤٣٦هـ =٢٠١٥ م.

٢٠- زمن الهزيمة: النيل لم يعد يجري (الجزء الثاني من السيرة الذاتية)، الوادي للثقافة والإعلام، القاهرة، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥ م.



سادسا: إعلام:

١- الصحافة المهاجرة: رؤيةٌ إسلاميةٌ، ط٢، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٢٣هـ = ١٩٩٢م.





سابعًا: كتب للأطفال:

١- واحدٌ من سبعةٌ، هيئة قصور الثقافة، سلسلة كتاب قطر الندى - العدد ١٦٤، القاهرة، د. ت.

ثامنًا: كتبٌ محققةٌ:

١- فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠١٠م.

٢- طائفة من المؤلفين، أحسن ما كتبت، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠١٠م.

٣- المتنبي، عبد الوهاب عزام (تحت الطبع) دار الفضيلة، القاهرة.

٤- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي (تحت الطبع)، دار الفضيلة، القاهرة.



تاسعًا: كتبٌ معدةٌ للنشر:

- الإبادة والمقاومة: الشعب الفلسطيني لا يموت.



- خبز السلطة... خبز الحرية (الحقل الثقافي في مصر المعاصرة).
- الحلم والدهشة (قراءةٌ أدبيةٌ).
- اللحم الإسلامي المستباح.
- حضرت التبعية.. وغابت الهوية.
- صالون الشعر والأدب (أعلام وقضايا).
- نداء الفطرة.
- ثقافة تزغيط البط!
- محرقة غزة.. الشعب الفلسطيني يقاوم!
- القيم الإسلامية وإعجاز القرآن في رسائل النور
- كهنة آمون!
- الصرب في مصر.
- الوطن على كتفي!
- القبضة الفولاذية.
- على باب الحرية.







الفهرس



